جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية



منهج المستشرقين في دراسة القضايا القرآنية

إعداد الدكتور

صلاح بن سالم بن سعيد باعثمان
أستاذ الدراسات القرآنية المساعد
كلية التربية - جامعة جده

مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل على سيدنا محمد، وآله وصحبه الكرام، الطيبين، الطاهرين، واحشرنا في زمرتهم يا أرحم الراحمين.

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾[النساء: ١].

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو كلام الله المعجز المنزل من لدنه (ﷻ)، وهو معجزة الرسول (ﷺ) الباقية على مر العصور، وهو قاعدة الإسلام ومصدر التشريع والأخلاق والسلوك، وهو الأصل الذي تقاس عليه جميع المعاملات، وهو أساس الحضارة، وأصل العلوم والمعارف.

ولقد تباينت وجهات نظر المستشرقين حول القرآن الكريم، من كل ناحية من النواحي، فسعوا بكل قوة لهدم هذا البنيان القوي، بالطعن والتشكيك في

مصدره، وجمعه، وتدوينه، وسوره وآياته، ولم يدّخروا وسيلة أو منهجاً إلا وظفوه لذلك، ولقد اهتم المستشرقون بدراسة القرآن الكريم وعلومه وقضاياه، باعتبارها خادمة له، ومعينة على فهمه، وإدراك مقاصده وأغراضه، وهذه المسائل تُعد المجال الخصب الذي تواردت عليه أقلام كثير من المستشرقين، سواء بالدراسة والبحث، أو بالتحليل والنقد.

ولا شك أن كل ما يتعلق بدراسات القوم ومناهجهم، مُحطم ومُشكك للمُسَلمات التي يؤمن بها المسلمون، لذا لديهم أثناء البحث والدراسة يقين أن القرآن الكريم دعوى بشرية، يحتمل أن يكون مصدره من كل جهة إلا من السماء، وبالتالي كل أبحاثهم استوت على أساس غير صحيح، وانحرفت عن المنهج السليم، وهذا لا يمنع من الاطلاع على كل ما يقال في حق القرآن من خلال المناهج التي وظفوها لذلك.

علماً بأن دراسات المستشرقين قبل مطلع القرن العشرين كانت تطبع بطابع سافر يوجه من خلاله الشتم والطعن، في حق القرآن الكريم، والتشكيك والطعن في قضاياه، ومنذ بداية الترجمات الأوربية للقرآن الكريم من خلال مناهجهم النقدية، وقوالبهم الفكرية التي نبتت في الغرب بهدف إسقاط الأديان السماوية، ورسالاتها السماوية، وبخاصة القرآن الكريم، والسعي إلى تحييده عن واقع الحياة، وفصله عن الميراث الثقافي للمسلمين، والتقليل من أهميته؛ بل ومحاصرته حماية للغرب الذين يقرؤونه بموضوعية ونزاهة فكرية من اعتناق الإسلام.

وما زالت عندهم الكثير من أنواع التحديات حيال القرآن الكريم وقضاياه، من خلال أسس ممنهجة، يرسمون من خلالها الخطط الكفيلة لتحقيق مصالحهم الحيوية في العالم العربي والإسلامي، والمتأمل للتراث الاستشراقي سرعان ما

يفاجأ بكثرة الشبهات والطعون في كل حين، مستخدمين في كل ذلك كل المناهج المشوهة كالنفي والإسقاط والمبالغة في الشك في الدلائل القطعية وتضعيفها، وهي تُشكل لفئات عريضة من الباحثين المرجع الرئيس، والمنهج الأساسي؛ لذلك كان هذا البحث:

لتبيان مناهج المستشرقين حول القرآن وقضاياه، والذي يحاول الباحث من خلاله تبيانها تارة، وتفنيدها تارة أخرى، مما قد يُسهم في التقليص من سرعة انتشار الكتابات الاستشراقية وهيمنتها، والتخفيف من حدة بريقها الخادع الذي لا يزال ينطلي على فئات كثيرة من الناس حتى اليوم، وفي ذات الوقت لابد من إبراز حقيقة مهمة وهي أن مناهج المستشرقين في دراسات القرآن الكريم وعلومه تكاد تكون خالية من الموضوعية، والتجرد، والنزاهة العلمية، ومفصولة تماماً عن سياق الحياد والواقعية في كل بحث.

والذي دفعني لاختيار الموضوع عدة أسباب من أهمها ما يأتي:

أولاً: لقد كثر الحديث عن الاستشراق ونشأته وأهدافه، وبالرغم من أهمية ذلك؛ فثمة مسألة أساسية غابت عن الأذهان وهي الدور الخطير الذي لعبه المنهج في توجيه مسيرة حركة الاستشراق.

ثانياً: إن منهجية بحث قضايا القرآن الكريم وعلومه، من قبل المستشرقين تخلو من الموضوعية والتجرد والنزاهة العلمية، فكان من الواجب حتماً تبيان مثل هذه المنهجية الزائفة.

ثالثاً: إن دراسة المستشرقين لقضايا القرآن الكريم وعلومه وحدة واحدة، لاسيما في وسائلها وغاياتها المتجهة نحوه، وفي ذات الوقت تسير على وتيرة واحدة ومنهجية زائفة(وضع السم في الدسم) ولقد أجاد المستشرقون فن الاختيار

والعرض وسموها بالعقلانية تارة واللاهوتية تارة أخرى، وهم براء من هذا وذاك.

رابعاً: تناول المستشرقين لقضايا القرآن الكريم وعلومه شديد التعقيد، ولا يمكن حصره بسهولة، لاختلاف مناهج القوم وطرائقهم ومناحيهم الفكرية، فوجب التنبه لذلك.

خامساً: القرآن الكريم وعلومه يُعد المجال الخصب في دراسات المستشرقين؛ لأنه يقوم على تحطيم المُسلمات التي يؤمن بها المسلمون، وفي ذات الوقت هو الحماية التي تحمي الغرب من الاقتناع به.

سادساً: إن دراسات المستشرقين للقرآن الكريم وعلومه، تتأرجح بين سوء الفهم تارة، وسوء الظن تارة أخرى، ويضرب المستشرق الألماني (تيودور نولدكه)(١٩٣١م) أكبر الأمثلة على ذلك، باعتباره شيخ المستشرقين كما وصفوه، فهو لا يتردد في الحكم على النبي (ﷺ) بقوله وبئس القول: "صائغ غير موهوب لسور قرآنية مشوشة الأسلوب"([١]).

سابعاً: باستقراء مناهج المستشرقين المختلفة في دراسة القرآن الكريم وعلومه، تبين صعوبة استبانة طرق المعالجة، وآليات المنهج الموظف، نظراً لتباين الخلفيات الفكرية التي ينطلق منها القوم.

خطة البحث: يشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد ومبحثين، على النحو الآتي:

مقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهج الباحث.

التمهيد: المستشرقون والدراسات القرآنية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الاستشراق لغة واصطلاحاً

---

(١) تيودور نولدكه: تاريخ القرآن، ص١٩.

المطلب الثاني: نشأة الاستشراق وأهدافه.

المطلب الثالث: دوافع اهتمام المستشرقين بالدراسات القرآنية.

المطلب الرابع: موقف المستشرقين من الدراسات القرآنية.

المبحث الأول: السمات العامة لمناهج المستشرقين في الدراسات القرآنية، وفيه ثلاثة مطالب وتعقيب.

المطلب الأول: المنهج لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: السمات العامة لمناهج المستشرقين.

المطلب الثالث: النقود الموجهة لكتابات المستشرقين ومناهجهم.

المبحث الثاني: مناهج المستشرقين في الدراسات القرآنية، وفيه تمهيد وستة مطالب وتعقيب:

التمهيد: حول مناهج المستشرقين في الدراسات القرآنية

المطلب الأول: منهج الطعن والتشكيك

المطلب الثاني: منهج الافتراضية.

المطلب الثالث: منهج النزعة التأثيرية.

المطلب الرابع: منهج اللاموضوعية وعدم التجرد.

المطلب الخامس: منهج الانتقائية.

المطلب السادس: منهج الإسقاط.

تعقيب:

الخاتمة: وتشمل أهم النتائج والتوصيات:

ثبت المصادر والمراجع، ثم المحتوى.

منهج الباحث: وسرت في هذا البحث على المنهج الآتي:

أولاً: الجمع بين عدد من المناهج العلمية، باستقصاء مناهج المستشرقين في الدراسات القرآنية سواء ما كان منها متعلقاً بمصدر القرآن الكريم، أو بجمعه وتدوينه، أو بحفظه وترجمته وأسلوبه.

ثانياً: منهج البحث في الدراسة هو المنهج الوثائقي الموضوعي، والهدف من ذلك كشف القناع عن الباحثين المزعومين الذين قدموا الضلال والخداع على أنه منهجية علمية خالية من الشطط أو الخطأ.

ثالثاً: استخراج هذه الملامح والسمات العامة لمناهجهم من واقع أعمالهم وكتاباتهم التزاما بالعدل والإنصاف والموضوعية وقواعد البحث العلمي، ومن ثم يكون عرض الأمثلة والنماذج من كتاباتهم والاستدلال بها على مدى منهجية القوم واحترامهم لأصول البحث وقواعده.

رابعاً: تبيان مناهج المستشرقين في القضايا القرآنية، لا يعني تفنيد الفكر ونفيها أكثر منه تبيانا للمنهج وغايته.

خامساً: لن تتم معالجة كل القضايا التي أثارها المستشرقون بصدد القرآن الكريم وعلومه، لكنا أتينا بنماذج تخدم المسألة المراد بحثها.

سادساً: توثيق المادة العلمية على النحو الآتي:

١- عزو الآيات القرآنية إلى سورها.

٢- تخريج الأحاديث النبوية والآثار من مصادرها المعتمدة، والحكم عليها من خلال أقوال أهل العلم.

٣- توثيق الأقوال المنقولة عن العلماء.

٤- ترجمة لأهم الأعلام الواردة.

وبعدُ: فإني أحمد الله حمداً كثيراً مباركاً فيه، فهو الذي وفق وأعان، فله الحمد على ما أسبغ من النعمة، وأتم من المنة، وأسبل من الستر، ويسر من العسر، وقرب من النجاح، وقدر من الصلاح.

والشكر لله وهو المبتدي النوال قبل السؤال، والمعطي من الإفضال فوق الآمال، فأي نعمة أحصى عددها، وأي عطائه أقوم بشكره: ما أسبغ علي من النعماء، أو ما صرف عني من الضراء.

وبالله التوفيق،،،،،

التمهيد: المستشرقون والدراسات القرآنية

المطلب الأول: الاستشراق لغة واصطلاحاً

الاستشراق في اللغة:

الاستشراق تعريب للكلمة الإنجليزية Orientalism مأخوذ من الاتجاه إلى الشرق، وكلمة الاستشراق مشتقة من مادة شرق، يقال: شرقت الشمس شرقاً وشروقا، إذا طلعت، وهي تعني مشرق الشمس، وترمز إلى الحيز المكاني من الكون وهو الشرق.

وبالرجوع إلى لفظة" استشراق" نجد أنها مصوغة على وزن استفعال، ولوجدناها مأخوذة من كلمة شرق ثم أضيف إليها ثلاثة حروف هي الألف والسين والتاء، ومعناها طلب الشرق، وليس طلب الشرق سوى طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه، جاء في لسان العرب: شرق: "شرقت الشمس تشرق شروقا وشرقاً: طلعت، واسم الموضع: المشرق... والتشريق: الأخذ في ناحية المشرق، يقال: شتان بين مشرّق ومغرّب، وشّرقوا ذهبوا إلى الشرق، وكل ما طلع من المشرق فقد شرق، وفي الحديث: ".. فَلاَ تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ، وَلاَ تَسْتَدْبِرُوهَا وَلَكِنْ شَرِّقُوا، أَوْ غَرِّبُوا..(1)*.

وهناك من يقول إن المقصود بالشرق ليس الشرق الجغرافي؛ وإنما الشرق المقترن بمعنى الشروق والضياء والنور والهداية؛ ويرى البعض أن كلمة استشراق لا ترتبط فقط بالمشرق الجغرافي؛ وإنما تعني أن الشرق هو مشرق

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، ٢٤٤٤/٤* الحديث: صحيح وأخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب قِبْلَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَأَهْلِ الشَّامِ وَالْمَشْرِقِ ١٠٩/١، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الاستطابة ٢٥٩/٢.

الشمس؛ ولهذا دلالة معنوية بمعنى الشروق والضياء والنور بعكس الغروب بمعنى الأفول والانتهاء([١])*.

وعليه فالاستشراق يعنى بالبحث عن علوم الإسلام في بلاد المسلمين عقيدة وشريعة وتاريخاً ومجتمعاً وتراثاً.

الاستشراق في الاصطلاح:

إن مصطلح الاستشراق وما يتصل به من الكلمات المشابهة نحو مستشرق وغيرها، يعد من التسميات الحديثة وإن كان مدلولها غير حديث، يقرر إسحاق الحسيني أن لفظة استشراق ومشتقاتها استعملها المحدثون من ترجمة كلمة Orientalism ثم استعملوا من الاسم فعلاً فقالوا: استشرق، وليس في اللغات الأجنبية فعل مرادف للفعل العربي، والمدققون يؤثرون استعمال علماء المشرقيات بدلاً من مستشرقين، ولكن لفظ استشرق ولفظ مستشرق هي الأكثر شيوعاً([٢]).

ويمكن تعريف الاستشراق بأنه:

"أسلوب من الفكر قائم على تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق والغرب، ويستخدم دراسات أكاديمية يقوم بها علماء غربيين للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب عقيدة وشريعة وثقافة وحضارة وتاريخ ونظم وثروات وإمكانات، سواء أكانت هذه الشعوب تقطن شرق البحر الأبيض أم الجانب الجنوبي منه، وسواء أكانت لغة هذه الشعوب العربية أم غير العربية كالتركية والفارسية والأوردية وغيرها من اللغات، لأهداف متنوعة ومقاصد مختلفة"([٣]).

---

(١) ينظر: السيد محمد الشاهد: الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، ص ١٩١-٢١١، سنة ١٩٩٤م.

(٢) إسحاق الحسيني: الاستشراق، نشأته وأهدافه، ٢٥/١، مطبعة الأزهر سنة ١٩٦٧م.

(٣) المصدر نفسه: ٢٦/١.

وعلى الرغم من أن مصطلح الاستشراق ظهر في الغرب منذ قرنين من الزمان، لكن المتيقن أن البحث في لغات الشرق وأديانه وبخاصة الإسلام قد ظهر قبل ذلك بكثير، يقول (آربري)([1]):

"والمدلول الأصلي لاصطلاح مستشرق كان في سنة ١٦٣٨م وفي سنة ١٦٩١ م، ووصف آنتوني وود صمويل كلارك بأنه: استشراقي نابه، يعنى ذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية، وبيرون في تعليقاته على Childe) (Harold's Pilgrimage يتحدث عن المستر ثورنتون وإلماعاته الكثيرة الدالة على استشراق عميق([2]).

ويرى رودي بارت([3]) أن الاستشراق هو "علم يختص بفقه اللغة خاصة، وأقرب شيء إليه إذن أن نفكر في الاسم الذي أطلق عليه كلمة استشراق مشتقة

---

(١) آربري: مستشرق بريطاني التحق بجامعة كامبريدج لدراسة اللغات الكلاسيكية اللاتينية واليونانية، وشجعه أحد أساتذته منس على دراسة العربية والفارسية، ارتحل إلى مصر لمواصلة دراسته للغة العربية، عاد إلى مصر ليعمل في كلية الآداب رئيساً لقسم الدراسات القديمة (اليونانية واللاتينية) وزار فلسطين وسوريا ولبنان (ينظر: عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ٢٣٤/١).

(٢) ا. ج آربري: المستشرقون البريطانيون .تعريب محمد الدسوقي النويهي، ص ٨ (لندن: وليم كولينز، ١٩٤٦).

(٣) رودي بارت: مستشرق ألماني درس في جامعة توبنجن اللغات السامية والتركية والفارسية في الفترة من ١٩٢٠ حتى ١٩٢٤ وتخرج على يد المستشرق الألماني ليتمان، أمضى سنتين في القاهرة (١٩٢٥-١٩٢٦)، كان اهتمامه في البداية بالأدب الشعبي ولكنه تحول إلى الاهتمام باللغة العربية والدراسات الإسلامية وبخاصة القرآن الكريم (ينظر: العقيقي: المستشرقون ٣٤٢/١).

من كــلمة (شرق) وكلمة شرق تعني مشرق الشمس([1]).

ويعرف (إدوارد سعيد) الاستشراق بأنه:

"نمطاً من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة السيطرة عليه([2])"

والمستشرق: "عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه"([3]).

أما (ألبرت ديتريش) فيعرف المستشرق بأنه:

"ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه، ولن يتأتى له الوصول الي نتائج سليمة في هذا المضمار ما لم يتقن لغات الشرق"([4]).

وعّرفه البعض بأنه: "ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته"([5]).

وأحياناً يقصد به: "أسلوب للتفكير يرتكز على التمييز المعرفي والعرقي والأيدلوجي بين الشرق والغرب"، ومرة يراد به: "ذلك العلم الذي تناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب"([6]).

---

(١) رودي بارت: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية(المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه). ترجمة مصطفى ماهر، ص ١١، القاهرة: دار الكتــاب العربــي، بدون تاريخ.

(٢) إدوارد سعيد: الاستشراق، ترجمة كمال أبــو ديــب، مؤســسة الأبحــاث العربيــة، ص ١٢٠ط: (٧) سنة ٢٠٠٥م.

(٣) يحيى مراد: أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤، ص ٦.

(٤) محمد كرد علي: أثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربيــة، ص٢٣، المجمع العربي ١٩٢٧.

(٥) عبدالله محمد الأمين: المرجع السابق، ص١٦.

(٦) ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي، ج١، دار المــدار الإســلامي، بيــروت، ٢٠٠٢، ص٢٠.

وعليه فيمكن تعريف الاستشراق بأنه:

"أسلوب من الفكر قائم على تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق والغرب، ويستخدم دراسات أكاديمية يقوم بها علماء غربيين للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب عقيدة وشريعة وثقافة وحضارة وتاريخ ونظم وثروات وإمكانات، سواء أكانت هذه الشعوب تقطن شرق البحر الأبيض أم الجانب الجنوبي منه، وسواء أكانت لغة هذه الشعوب العربية أم غير العربية " كالتركية والفارسية والأوردية "وغيرها من اللغات، لأهداف متنوعة ومقاصد مختلفة "([١]).

المطلب الثاني: نشأة الاستشراق وأهدافه

أطلقت كلمة مستشرق لأول مرة سنة ١٦٣٠م على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية، ثم أطلقت بعد ذلك على من عرف لغات الشرق، وعرف قاموس أكسفورد الجديد معنى المستشرق بأنه:

"من تبحر في لغات الشرق وآدابه"، وكانت تطلق في البداية على من تخصص في فقه اللغات الشرقية([٢]).

واستعملت كلمة الاستشراق لأول مرة في معجم الأكاديمية الفرنسية سنة ١٨٣٨م بعد أن شاع استعمالها، وأصبحت اللفظة دالة على التخصص في الثقافات الشرقية([٣])، يقول إدوارد سعيد: "الاستشراق ليس مجرد موضوع أو

---

(١) إدوارد سعيد: الاستشراق، ص ٢.

(٢) محمد فاروق النبهان: الاستشراق، تعريفه، مدارسه، ص ٦٠، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم سنة ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

(٣) ويرى البعض أن البدايات الأولى للاستشراق كانت في عهد فلاسفة الإغريق الذين توجهوا للشرق كتوجه طاليس للإسكندرية مثلا، ثم كانت فتوح الإسكندر من بوادر التوجه إلى العالم الشرقي رغم عدم عد ذلك من مراحل الاستشراق، في حين يرى=

ميدان سياسي ينعكس بصورة سلبية في الثقافة والبحث والمؤسسات، كما أنه ليس مجموعة كبيرة ومنتشرة من النصوص حول الشرق، كما أنه ليس معبرا عنه وممثلا لمؤامرة امبريالية غربية شنيعة لإبقاء العالم الشرقي حيث هو؛ بل إنه بالأحرى توزيع للوعي الجغرافي السياسي إلى نصوص جمالية وبحثية واقتصادية واجتماعية وتاريخية...وهو إحكام لا لتمييز جغرافي أساسي وحسب...بل كذلك لسلسلة كاملة من المصالح التي لا يقوم الاستشراق بخلقها فقط؛ بل بالمحافظة عليها أيضا بوسائل شتى، من أهمها الاكتشافات العلمية"(١).

وقيل إن نشأة الاستشراق الحقيقي بدأ منذ اهتمام الدول الغربية بالإسلام كحضارة وثقافة، بعد أن حقق انتصاراً كبيراً على المسيحية، ويبدو هذا واضحاً منذ اهتمام الكنيسة المسيحية بالدراسات الإسلامية، وبخاصة في قضايا العقيدة والدراسات القرآنية، ثم تطورت من حوار ديني بين علماء الإسلام وعلماء الكنيسة إلى منهج استشراقي، أخذ يبرز في الأندلس من خلال اتصال الكنيسة بالحضارة الإسلامية.

وذهب بعض الباحثين إلى أن حركة الاستشراق الفعلية بدأت برحلة جربيردي أورياك (١٠٠٣م) من فرنسا إلى قرطبة سنة ١٩٦٧م، طلباً للحكمة في عهد الحكم الثاني، ومكث ثلاث سنوات يدرس الحكمة على يد علماء مسلمين، وكذلك بطرس المحترم (١٠٩٢م) وجيراردي كريمون١١٨٧م، وهذا

=البعض الآخر من الباحثين أن هذه المرحلة لا يعتد بها (ينظر: الاستشراق، تعريفه ومداريه، ص٢١).

(١) إدوارد سعيد: الاستشراق، ترجمة: كمال أبوديب، ص ٤٦، ط: ٧، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت، سنة ٢٠٠٥م.

يؤكد أن الدراسات الاستشراقية الأولى نشأت في أحضان الكنيسة، وكانت الأندلس هي الموطن الأهم للفكر الاستشراقي الأول([1]).

ومنذ قيام الحروب الصليبية بدأ ظهور العامل الديني في الفكر الاستشراقي، فالغرب المسيحي اندفع بقوة وحماسة لتحدي العالم الإسلامي، وتعمقت مشاعر العداء بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي، واتجه الاستشراق اتجاهاً غير الاتجاه الأول الذي اعتمد على البحث وحب الحكمة، فأخذ يتطلع بدافع من التعصب لنقد تلك المعارف والعلوم، وبخاصة الدراسات القرآنية([2]).

وفي القرن السادس عشر والسابع عشر، بدأت البدايات الحقيقية للاستشراق الحديث، حين أخذ الغرب يضاعف من اهتمامه بالثقافة الإسلامية، وبطباعة الكتب العربية، وإنشاء المدارس والكراسي العلمية في جامعات الغرب([3]).

وكان من صور ذلك؛ الإقبال على تعلم اللغات الشرقية؛ لا سيما اللغة العربية، وعلى سبيل المثال (رامون لول) في الأندلس والذي صنفه (زويمر) بوصفه أول مبشر سنة ١٣١٦م، ثم تطور مجهوده في صورة تأسيس المعاهد التي أنيطت بها مسؤولية حمل أعباء الدراسات العربية تحديداً.

وفي منتصف القرن الثامن عشر إلى نهاية الحرب العالمية الثانية، بدأ الاتجاه المؤثر والمنظم لحركة الاستشراق، وقد تمثل في صورة بروز بعض العلماء الغربيين في هذا المضمار، متمثلاً في إصدارهم للعديد من المجلات

---

(١) ينظر: محمد ياسين عريبي: الاستشراق وتغريب العقل التاريخي ص ١٣٧، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط.

(٢) محمد فاروق النبهان: الاستشراق، تعريفه، مدارسه، ص١٨.

(٣) محمد الزيادي: ظاهرة انتشار الاستشراق، ص ٤٨.

والدوريات في كثير من بلدان الغرب، مع دأبهم في البحث والتنقيب على الكنوز العربية العلمية، المتمثلة في المخطوطات والوثائق، وقد بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مئتين وخمسين ألف مجلد([١]).

وبمرور الوقت ازدادت حركة الاستشراق تنظيماً، فبدأوا بعمل أول مؤتمر للمستشرقين سنة ١٧٨٣م، وتبع ذلك الكثير من المؤتمرات([٢]).

وامتد تطور الاستشراق تمشياً مع التقدم العلمي والتكنولوجي، فاستمرت المؤتمرات الاستشراقية إلى اليوم([٣]).

أهداف الاستشراق:

لقد تعددت أهداف المستشرقين ما بين دينية، وسياسية، واستعمارية، ومما لا شك فيه أن الهدف الديني هو أس أهداف المستشرقين، ويُعد أهم أسباب نشأته، وقد صاحب الاستشراق طوال مراحل تاريخه، وحتى نهاية القرن التاسع عشر، ولم يكن الاستشراق قد حرر نفسه من إيثار الخلفية الدينية التي اشتق منها أصلاً إلا بدرجة ضئيلة([٤]).

واتجاهات الهدف الديني تتمثل في محاربة الإسلام، والبحث عن نقاط ضعف فيه وإبرازها، والزعم بأنه دين مأخوذ من المسيحية واليهودية، والانتقاص من قيمه، والحط من قدر نبيه، فضلاً عن حماية المسيحيين من خطر الدخول في الإسلام؛ وذلك بحجب حقائقه عنهم، واطلاعهم على ما فيه

---

(١) ينظر: مجلة الثقافة العربية، لقاء مع د. محمد عمارة أجـراه سـليمان الـشيخص ٧٥، العدد١٢ديسمبر السنة الثالثة ١٩٦٧م.

(٢) محمد الزيادي: ظاهرة انتشار الاستشراق، ص ٦٣.

(٣) محمد الدسوقي: خصائص الاستشراق في مرحلته الثالثة، ص ٧٥.

(٤) إدوارد سعيد: الاستشراق، ص ٢٦٥.

من نقائص مزعومة، وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين، وعملوا كثيراً على نجاح الهدف الديني من خلال قرار مجمع فيينا الكنسي في عام ١٣١٢م(1) وقرارات إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة كمبردج، وتأسيس مجلة العالم الإسلامي في عام١٩١١م عن طريق (صمويل زويمر) رئيس المبشرين في الشرق الأوسط(2).

ولم يكن الهدف الديني هو كل شيء، فقد كانت هناك أيضاً أهداف أخرى للاستشراق، تقترب أو تبتعد عن الهدف الديني، ومن هذه الأهداف ما يأتي(3):

أولاً: أهداف علمية: وكانت مقصد بعض من ظهروا في عصر التنوير في أوروبا وهؤلاء كانوا قلة.

ثانياً: أهداف تجارية: وقد ظهرت في عصر ما قبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين؛ فقد كان الغربيون مهتمين بتوسع تجاراتهم ومن أجل هذا وجدوا أن الحاجة ماسة للسفر إلى البلدان الإسلامية والتعرف عليها حتى يحققوا ما يهدفون إليه من وراء ذلك؛ وذلك من خلال العديد من الفوائد التي تعود على تجاراتهم.

وبجانب الأهداف التجارية كانت الأهداف السياسية التي لا تقل أهمية في هذا المجال، فظهرت واضحة جلية، واتسع مدارها باتساع رقعة الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين، فاضطرت الدول

---

(١) قرار مجمع فيينا الكنسي يقضي بإنشاء عدد من كراسي الأستاذية في بعض اللغات كالعربية واليونانية والعبرية في جامعات باريوسلامنكاويولونيا وكان ذلك سنة ١٣١٢م.

(٢) د. محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية، ص ٧٤.

(٣) إسحاق موسى الحسيني: الاستشراق، ص ١٥ وما بعدها (محاضرة في الموسم الثقافي للأزهر).

الاستعمارية دراسة آداب، ودين البلدان المستعمرة، ليعرفوا كيف يسوسون هذه المستعمرات ويحكمونها.

ويرمي الاستشراق من وراء ذلك إلى تحقيق غايتين الأولى: في حماية الإنسان الغربي من أن يرى نور الإسلام، كما كان من المسيحيين في الشام ومصر والشمال الأفريقي وإسبانيا ([١])، الثانية: هي معرفة الشرق، ودراسته، وأرضه، ومياهه، وطقسه، وعلمه، وعلمائه، وعقائده،...كل ذلك لكي يعرف كيف يصل إليه([٢]).

المطلب الثالث: دوافع اهتمام المستشرقين بالدراسات القرآنية

من الظاهر الجلي أن المستشرقين لم يقبلوا على دراسة الشرق وآثاره وتاريخه هباء؛ بل كانت هناك عدة دوافع دفعتهم إلى ذلك، سواء أكانت الدوافع تتعلق بالإسلام بصفة عامة، أو بالدراسات القرآنية بصفة خاصة.

ولعل من أهم الأسباب التي دفعت المستشرقين إلى دراسة الحضارة الإسلامية؛ هي محاولة استكشاف طبيعة هذه الحضارة وخصوصياتها؛ وذلك لأن كل حضارة ذات خصائص مميزة، ولكي يتمكن الغرب من استكشاف طبيعة الحضارة الإسلامية كان مطالباً بأن يدرس ثقافة هذه الحضارة ومكوناتها لتحقيق غايتين:

الأولى: تفسيرية وذلك عن طريق الكشف عن مقومات الحضارة الإسلامية، من حيث قدرتها على التكوين الاجتماعي، والسيطرة على مسار المجتمعات الإسلامية.

---

(١) محمود محمد شاكر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص ٥٧.

(٢) ينظر: المنهج عند المستشرقين، ص ٣٣٩.

الثانية: توجيهية، وذلك بغرض التحكم في مسار الشعوب الإسلامية عن طريق معرفة التناقضات القومية والطائفية والإقليمية([1]).

أما عن الدوافع التي دفعت المستشرقين إلى دراسة القرآن الكريم وعلومه، فلقد كان القرآن على رأس الموضوعات التي شغلت بال المستشرقين وتفكيرهم؛ حيث إنه الأساس الذي تقوم عليه العقيدة الدينية والشريعة الإسلامية، والمستشرقون أدركوا أهميته جيداً، ولا سيما بعد أن ترجموه واستوعبوا ما جاء فيه، وعلى كل حال فيمكننا تحديد ثلاثة دوافع رئيسة قد ساهمت بشكل كبير في دفع الدراسات الاستشراقية نحو القرآن الكريم وقضاياه.

أولاً: الدافع الديني:

إن ترجمة القرآن الكريم لأول مرة كانت سنة ١١٤٣م "ومن خلالها اطلع رجال الكنيسة على ما ورد في القرآن الكريم بشأن عقائد النصارى، وأظهروا في حكم واضح وصريح أسس المسيحية الحقة التي نادى بها المسيح ودعا إليها وعرف بها...فأثبت أن عيسى (عليه السلام) بشر، وأنه رسول الله مؤيد بكتاب إلهي وبوحي سماوي وأنه نادى بعقيدة التوحيد فدعا إلى عبادة الإله الواحد الأحد، وقرر أنه لم يقتل، ولم يصلب، بل توفاه الله تعالى ورفعه إليه"([2]).

وفيما يتعلق بعقيدة التثليث عرض القرآن الكريم زيفها وزعمها، ودعا أهلها بأن لا يغلوا في دينهم، وعقيدة التثليث" تزخر بمزاعم وأباطيل؛ فهي تزعم أن الله ثالث ثلاثة وأنه ثلاثة أصول متساوية: الله الآب، الله الابن، الله الروح القدس، فالمسيح إله، وهو ابن إله، وفي ذات الوقت هو بشر وإله..."([3])، تعالى الله عما يقولون ويعتقدون علواً كبيراً.

---

(١) محمد فاروق النبهان: الاستشراق، تعريفه، مدارسه، ص١٤.

(٢) محمود بن الشريف: الأديان في القرآن، ص ٢١٤ دار المعارف القاهرة سنة ١٩٧٠م.

(٣) محمود بن الشريف: الأديان في القرآن، ص ٢١٤-٢١٥.

ومن ثم قامت الكنيسة بشن حملة واسعة ضد القرآن الكريم ودين الإسلام، ومن سياق هذه الحملة فإن جماعة من المستشرقين نالوا من مكانة القرآن الكريم وحاولوا التقليل من أهميته عند المسلمين وزعزعة النفوس عنهما من خلال الترويج لكل ما يثير الشكوك فيهما من طرح أفكار وتصورات ما أنزل الله بها من سلطان ليؤولوا حقيقة الوحي الإلهي بأنها نوبات من الصرع، أو مجموعة من الأوهام(١).

وبعضهم لجأ إلى تعريف القرآن وتبديله بعد وفاة النبي (ﷺ)(٢) ليثير الشكوك والافتراءات حوله، وإن كان الكثير منهم قد لجأ إلى فكرة أن النبي (ﷺ) استقى تعاليم القرآن من كتب اليهود والنصارى(٣).

ويوضح (مونتجمري وات) الموقف الكنسي من القرآن والإسلام قائلاً: "لقد سيطرت مفاهيم الكتاب المقدس خلال القرون الوسطى على نظرة الأوروبيين عن الطبيعة، والله، والإنسان، بحيث لم تمكنهم من أن يتصور أن هناك طريقاً بديلة للتعبير عن هذه العلاقة، وكانت النتيجة أن حكم على تعاليم الإسلام بالكذب حين اختلفت مع المسيحية"(٤).

ولم يكن هذا فحسب؛ بل وصل الأمر به حين قرر "أن القرآن قد تضمن الأكاذيب، وأن محمداً لم يكن رسولاً، فقد روج (بطرس المكرم) أفكار بعض

---

(١) مشتاق بشير الغزالي: نظرة تحليلية في كتاب حياة محمد لوليم ميور، ص١٥٤، بحث منشور في مجلة السدير كلية الآداب جامعة الكوفة النجف العدد الأول ٢٠٠٣م.

(٢) محمد حسين الصغير: المستشرقون والدراسات القرآنية، ص٣٩.

(٣) عبد القهار العاني: الاستشراق والدراسات القرآنية، ص ١٠ مطبعة العاني بغداد سنة ١٩٧٣م.

(٤) وات: تأثير الإسلام على أوربا في العصور الوسطى، ص ١١٩ الموصل سنة ١٩٨٢م.

الإغريق القائلة بأن الإسلام لم يكن سوى هرطقة مسيحية، وأن الإسلام كان أسوأ من ذلك، وأن بالإمكان اعتبار المسلمين وثنيين، ولقد جاءت نواة الاعتقاد المسيحي في هذا الصدد من أنه ما دام محمد لم يكن رسولاً، وما دام قد أقام ديناً فلابد إذن من أنه شجع الشر، وبذلك فإنه يجب أن يكون أداة للشيطان؛ وبهذه الطريقة وضع الإسلام على طرفي نقيض مع المسيحية"([1]).

ومفاد هذا كله أن التوجه الديني لدراسة القرآن والدين الإسلامي كان من قبل رجال الدين المسيحي، ومن ثم ابتعدت دراساتهم عن منهج البحث العلمي وعن الحقيقة التاريخية، لأن هدف هؤلاء جميعاً خدمة المصالح الكنسية في ظل ما يعتقد بأنه مواجهة ضد التهديد الإسلامي بالانتشار على حساب المسيحية([2]).

ثانياً: الدافع الاستعماري:

من أهم دوافع المستشرقين نحو دراسة الموضوعات القرآنية؛ الدافع الاستعماري، لأن عنايتهم توجهت نحو دوائر استعمارية لدراسته بدافع استعماري موجه إلى إضعاف العقيدة والشريعة الإسلامية القائمة عليه وتوهينها، فتناولوا العديد من الموضوعات والقضايا التي تثير الشكوك والريبة في نفوس المسلمين كالجهاد الذي أكده القرآن الكريم في العديد من آياته، وبذلوا جهدهم للقضاء عليه من خلال تصوير سيء مشوه للحقيقة التاريخية، يقول جون هيجل:

"كان الإسلام دائماً، وسيبقى دائماً؛ دين السيف لأنه لا يمكن العثور على أي فكرة للحب في القرآن"([3]).

---

(١) وات: تأثير الإسلام على أوربا في العصور الوسطى، ص ١٢٣.

(٢) القرآن في دراسات المستشرقين، ص٤٣.

(٣) محمد فتح الله الزيادي: ظاهرة انتشار الإسلام، ص ١٧١.

ويرى الدكتور (زقزوق) أن الدراسات الاستشراقية الحديثة كانت تمول لمصالح استعمارية لتحقيق العديد من الأهداف "حيث كان التراث الاستشراقي بمثابة دليل للاستعمار في شعاب الشرق وأوديته من أجل فرض السيطرة الاستعمارية عليه، وإخضاع شعوبها وإذلالها"([1]).

ويعترف (فرانسيسكو غابربيلي) صراحة "إذا كان لوم الاستشراق على دوره المتواطئ مع الاستعمار ليس عارياً من الصحة، فإنه قد بولغ فيه وضخم وأفسد"([2]).

وفضلاً عن دعوته للتشكيك في الجهاد، فلقد حاولوا جاهدين في القضاء على اللغة العربية من خلال العديد من المحاولات في بقاع العالم العربي؛ حيث إنهم تبنوا تحويل الدراسة باللغة العربية الفصحى إلى الدراسة بالعامية وتعميق البحث في اللهجات المحلية([3]).

ولا نستغرب إذن قول الوزير البريطاني (جلاستون) عندما حدد خطورة القرآن الكريم على أوربا في قوله:

"ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان"([4]).

إذن دوافع الاستشراق والمستشرقين في دراسة القرآن الكريم وقضاياه بصفة خاصة، والدين الإسلامي بصفة عامة، متعددة ومتنوعة ما بين دينية،

---

(١) د. محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية...المقدمة، ص٥.

(٢) محمد أركون وآخرون: الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ترجمة هشام صالح، ص ٢٣، بيروت سنة ١٩٩٤م.

(٣) ينظر: محمد فتح الله الزيادي: ظاهرة انتشار الإسلام، ص ٨٢.

(٤) مشتاق بشير: تطور الاستشراق البريطاني، ص ٥٤، جامعة بغداد، ٢٠٠١م.

واستعمارية، وعلمية، وأصحابها قلة قائمة ومستمرة مع استمرار الدراسات الاستشراقية، لذا نجد الدكتور (محمد البهي) يصور هذا جيداً بقوله:

"إن عمل المستشرقين الدارسين للإسلام عمل ينطوي على نزعتين، الأولى: تمكين الاستعمار الغربي من البلدان الإسلامية، وتمهيد نفوس المسلمين لقبول النفوذ الأوربي والرضا بولايته، الثانية: تكمن في نزعة الروح الصليبية في دراسة العالم الإسلامي تحت غطاء البحث العلمي"([1]).

ويقول (هوفان استنجل):

"إننا يجب أن نكسب وجهات نظر جديدة لعقائدنا المسيحية بناء على فهمنا العميق للإسلام، وفهمنا لنفسية المسلم المتدين، وذلك حتى نتجنب نقاط الضعف فيما يستخدمه من أدلة حتى اليوم، وحتى نبني من جديد دفاعاً جديداً عن العقيدة المسيحية دفاعاً يضع في حساباته روح الإسلام والتطور الفكري للمسلمين، فيما يتعلق بعقائدهم خلال ما يزيد على ألف عام، وقد جرى هذا الاتجاه في ظل الخطة التي عمل الاستشراق لها منذ وقت بعيد، وهي أن يضع لكل مسألة أو قضية أو معضلة إجابة مستمدة من محاولته المعتمدة لتغير مجرى الفكر الإسلامي وإخراجه من هدفه الحقيقي وغايته الأساسية([2]).

ومن ثم يمكن القول بأن دوافع المستشرقين للاهتمام بالقرآن الكريم وقضاياه تكمن في أنه آخر الكتب السماوية ومصدقاً لها ومهيمناً عليها، لذا فقد بين زيف العقائد الباطلة سواء أكانت يهودية أم مسيحية، وبالتالي هذا دافع يدفع أتباع التوراة والإنجيل بالنظر فيه بالتشكيك تارة والتحريف تارة أخرى، وهذا

---

(١) د. محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، ص٤٣.

(٢) ينظر: مناهج المستشرقين في ضوء العقيدة الإسلامية، ص ٨١.

ما جعل النصارى يعملون بكل قوة للنيل منه؛ لأنه فضح معتقداتهم الباطلة كالتثليث والصلب والفداء، يقول الدكتور (اللبان):

"إن السبب الأول لحقد المستشرقين على القرآن وإصرارهم على أنه من كلام محمد، وليس من عند الله هو أن القرآن اتهم أتباع التوراة والإنجيل بتحريفهما، ولذلك زعموا أن محمداً استمد معارفه في تأليف القرآن من هذين الكتابين قصصاً وأخباراً وأحكاماً، كما أن القرآن من ناحية أخرى ينكر الأسس الثلاثة التي تقوم عليها مسيحيتهم وهي التثليث والصلب والفداء"([١]).

المطلب الرابع: موقف المستشرقين من الدراسات القرآنية

إن البحث في هذا المطلب المهم والذي يعد دعامة من دعامات البحث، يقتضي تصديره بهذا السؤال المهم: لماذا اهتم المستشرقون بالقرآن الكريم؟

للجواب عن ذلك نقول: ليس من قبيل المصادفة اهتمام وتركيز المستشرقين على القرآن الكريم وعلومه" ولعل هذا هو ما كان حافزاً لإنشاء شعبة للدراسات الإسلامية وضعت لخدمة الكنيسة في احتراس تام من تقديم صور تخدم الإسلام، وهو مفهوم لم يكن جديداً وتعود جذوره التاريخية إلى القرون الوسطى التي ورثت عنها الفترات اللاحقة (خرافة سوداوية الإسلام)...وقد ذهب هذا الاحتراس بالكنيسة إلى حد أن الأب ماراش أحد المترجمين الأوائل لمعاني القرآن صنّف الكالفانيين والساكرامنتريين ضمن الجماعات المحمدية كأعداء لصورة القديسة"([٢]).

---

(١) أحمد محمد جمال: مفتريات على الإسلام، ص ١٢.

(٢) سعيد علوش: مكونات الأدب المقارن في العالم العربي، ص ٢٢، ط: (١) دار الكتاب العالمي سنة ١٩٨٧م.

ويوضح الدكتور (لطفي العالم) أن:

"القرآن الكريم كان أول كتاب في تاريخ النقد كله، وكان أول من كشف عورات العقائد، وكان المستشرقون أنفسهم أول من شهد له بذلك...يقول المستشرق (باريت):

"المسلمون هم الذين بدأوا بالهجوم فليتحملوا تبعة عملهم"....نحن من عارض زيف النصارى، ومن فنّد كذب اليهود، ومن سفّه عقيدة التثليث والصلب والقيامة وخلق المسيح، وموقفنا من هذا هو الذي يمنحهم كما يزعمون نفس الحق في تشخيص حالتنا الدينية، والنظر في أوضاعنا العقدية"([1]).

وبدأ علماء الغرب البحث عن تاريخ القرآن وعن الكتب المؤلفة فيه وعن تفسيره، فضلاً عن عناية الجامعات والمعاهد بالدراسات القرآنية([2]).

كتب المستشرق (أوتوبر تيزل) أستاذ اللغة العربية في ميونخ رسالة إلى المجمع العلمي بدمشق يقول فيها:

"ولقد نوينا تسهيلاً لمحبي الاطلاع أن نُدوّن كل آية من القرآن في لوحة خاصة تحوي مختلف الرسم الذي وقفنا عليه في مختلف المصاحف، مع بيان القراءات المختلفة التي عثرنا عليها في المتون المتنوعة بالتفاسير العديدة التي ظهرت على مستوى العصور، وتوالي القرون"([3]).

إن الاستشراق يهدف في كل توجهاته إلى الطعن في الدين الحنيف والوحي العظيم المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية، ويظهر ذلك جلياً من خلال

---

(١) عمر لطفي العالم: نحن والاستشراق، ص ٨٦.

(٢) أبو عبد الله الزنجابي: تاريخ القرآن، تقديم: أحمد أمين، ص ١٢، ط: (٣) سنة١٣٨٨هـ.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٢-١٣.

بعض الترجمات للقرآن الكريم(١)، وذلك أن أول أهداف المستشرقين هو الطعن في كتاب الله تعالى، حيث إنهم نسبوا تأليفه إلى محمد (ﷺ)، كما فعل المستشرق (الفرنسيسكاني)(١٧٨٠م)، وزعم أن السور الأخيرة من القرآن الكريم في مقدمة ترجمته، وأن النبي (ﷺ) اعتمد في كتابة القرآن الكريم على الكتاب المقدس خصوصاً العهد القديم(٢).

ولقد حاول المستشرقون التشكيك في الروايات المتعلقة بجمع القرآن الكريم ونسخه وقراءاته، ومن بين الذين حملوا لواء هذه الفرية المستشرق المجري (جولد تسيهر) في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) حيث قال:

"لا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عضوياً على أنه نص منزل، أو موحى به يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما تجد في النص القرآني"(٣).

---

(١) إن أول ترجمة للقرآن الكريم باللغة اللاتينية للمستشرق روبرت أوتوفتشر، ثم تلتها ترجمة أخرى قام بها الأب جرمانوس الفرنسيسكاني.

(٢) يجب أن نضع في الاعتبار أن هناك صنفاً من المستشرقين تعامل مع القرآن الكريم تعاملاً موضوعياً أمثال فلوجل الذي صنف مصنفاً لم يسبق إليه في بابه، ألا وهو معجم الألفاظ القرآنية والذي قال فيه الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي " خير ما ألف وأكثر استيعابا في هذا الفن دون منازع ولا معارض هو كتاب نجوم الفرقان في أطراف القرآن لمؤلفه المستشرق الألماني فلوجل والذي طبع مرة عام ١٨٢٤م فقد اعتضدت به وجعلته أساساً لمعجمي (محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص١١ دار الجيل بيروت).

(٣) جولد تسيهر: مذاهب التفسير، ص ٤٠.

وحاول (بلاشير) في كتابه(مدخل إلى القرآن) إثارة بعض الشكوك حول كتابة القرآن في المرحلة الأولى من نزوله، ولا ينفي احتمال أن يكون النص الأصلي قد أدخلت عليه بعض الزيادات الطفيفة في العهود المتأخرة"([1]).

وهناك العديد من الأمثلة التي توضح افتراءات القوم وموقفهم الحقيقي الواضح من القرآن الكريم وقضاياه المتعددة التي تتعلق بمصدره، ووقت نزوله، وحفظه، وغير ذلك من القضايا والمسائل.

المثال الأول: نزول الوحي:

لقد حاول المستشرقون إنكار نزول الوحي، وأتوا بتفسيرات وتعليلات وتأويلات حاولوا من خلالها تفسير الحالة التي تنتاب النبي (ﷺ) إبان نزول الوحي، فيرى المستشرق الفرنسي (جوستاف لوبون) أن التصرفات التي تعتري الرسول إبان نزول الوحي عليه، ما هي إلا إصابته بالهوس الذي يباين التعقل الذي ينتابه في هذه اللحظات فيعتريه احتقان فغطيط فغثيان([2]).

ويرى المستشرق الألماني (هربرت حريم) أن محمدا لم يكن بداية أمره يبشر بدين جديد، وأنه لما أراد الإصلاح وضع خطة للإصلاح الاجتماعي باستخدامه فكرة الحساب والعذاب وغيرها، ورفض (وات) جميع الآراء الغربية التي عزت ظاهرة الوحي إلى الصرع والهلوسة والجنون([3]).

---

(١) بلاشير: مدخل إلى القرآن، ص٣٢.

(٢) ينظر: جوستاف لوبون: حضارة العرب١/١٤٥.

(٣) ساس الحاج: الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسـلامية ١/٣٠٦، ط: (١) سنة ١٩٩١م.

وأورد رأياً آخر عزا فيه مسألة الوحي إلى أنها من نتاج الخيال الخلاق([1])، ويرى(جولد تسيهر) أن أمر النبوة مسألة نفسية من تشبع الإنسان بحالة خاصة([2]).

المثال الثاني: جمع القرآن الكريم وحفظه:

لقد حاول بعض المستشرقين إلقاء الشبه حول جمع القرآن الكريم وحفظه بهدف التشكيك في مسألة حفظ القرآن ومن ثم رده ووصمه بالاختلاف، يقول المستشرق (كازنوفا) في كتابه (محمد ونهاية العالم) كلاماً كثيرا في هذه الجزئية، ويورد العديد من الآراء التي يحاول من خلالها إثبات أن القرآن الكريم قد أضيفت إليه أشياء كثيرة بعد وفاة النبي (ﷺ)([3]).

ويقرر (جولد تسيهر) في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) أنه ليس هناك نص موحد للقرآن، وأنه قد حذفت منه آيات كثيرة، وهذا ما أكده (نولدكه) وقرينه (موير)([4]).

ويرى (بلاشير) في كتابه (مقدمة القرآن) أن تدوين القرآن قضية لم تتأكد في آيات العهد المكي([5])، ويذكر (نولدكه) في رأي نقضه وعدل عنه فيما بعد، أن فواتح السور ما هي إلا حروف من أسماء بعض الصحابة زادوها على المتن الأصلي([6]).

---

(١) المصدر نفسه ١/٦-٧.

(٢) جولد تسيهر: مذاهب التفسير، ص ٤٥.

(٣) كازانوفا: محمد ونهاية العالم، ص٣٢.

(٤) ساس الحاج: الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية ١/٣٧٨.

(٥) المصدر السابق١/٣٧٩.

(٦) صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، ص ٢٤١.

ويرى (بروكلمان) في كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية) أن تعاليم القرآن الكريم ترجع إلى عبادات الأمم القديمة، ومعتقداتها، وكذلك البيئة التي نشأ فيها محمد([1]).

وفي كتاب (المستشرقون والإسلام)([2]) يرى بعضهم أن القرآن الكريم على الرغم من اشتماله على المبادئ العادلة، والفضائل الكاملة؛ إلا إنه لا يعني أنه من عند الله، ويوازن بين القرآن والتوراة والإنجيل، فيرى أنهما أرقى من القرآن، وهو ليس وحيا إلهياً؛ وإنما هو تلفيق من شتى المصادر الدينية.

وليس هذا وفقط؛ بل ادعى أحدهم أن القرآن الكريم اتسم بالفصاحة والبلاغة لكنه لا يلزم من ذلك أن يكون من عند الله، ويضرب مثلاً لذلك بوجود بعض الآثار الأدبية العالمية كالإلياذة والأوديسة لهوميروس([3]).

ويرى أحد الباحثين أن موقف الاستشراق من القرآن الكريم وما احتوى من مغالطات وشكوك، ينبه إلى الخطر الفادح الذي يكمن في دراسات الاستشراق عن كتاب الله دستور الأمة الخالد ومصدر سعادتها في الدارين([4]).

المثال الثالث: مصدر القرآن الكريم:

لقد سعى المستشرقون بكل قوة إلى النيل من القرآن الكريم وبخاصة مصدره، حيث إنهم زعموا أن الرسول (ﷺ) استمد تعليمات القرآن وتوجيهاته من اليهودية والمسيحية والزرادشتية، وهم يزعمون بذلك أن القرآن الكريم موضوع وليس وحياً من عند الله تعالى، وهذا ما قرره غير واحد من

---

(١) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ٣٥/١.

(٢) المستشرقون والإسلام، ص١٥٣.

(٣) المصدر السابق، ص ١٤٤.

(٤) محمود حمدي زقزوق: الفكر الاستشراقي، ص ٩٥.

المستشرقين، أمثال المستشرق الإنجليزي (جب) في كتابه (المذهب المحمدي)، و(سنكريل تسدل) في كتابه (مصادر الإسلام)، يقول أحدهما: "إن شرائع الإسلام تأسست من شرائع الأديان المعاصرة له، والمنتشرة وقتئذ في الشرق، ألا وهي اليهودية، والمسيحية، والهندية، والصابئة، والفارسية، والجاهلية"([1]).

ويقول المستشرق (توراندريه):

"لاشك أن الأصول الكبرى للإسلام مستقاة من الديانتين اليهودية والمسيحية، وهذه حقيقة لا يحتاج إثباتها إلى جهد كبير"([2]).

ويروي المستشرق(برناردلويس) روايته – أي الرسول- لقصص الكتاب المقدس توحي بأن معرفته به كانت عن طريق غير مباشر، وربما كانت عن طريق التجار والرحالة اليهود والنصارى الذين كانت أخبارهم متأثرة بالمؤثرات المدراشية وكتب الأساطير اليهودية([3]).

ويرى (جولد تسيهر) أن" تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها، والتي تأثر بها تأثيراً عميقاً"([4]).

ولم يقتصر موقف المستشرقين من القرآن الكريم وعلومه عند هذا الحد؛ بل إنهم تحدثوا عن النص القرآني وظاهرة الوحي الإلهي من حيث التوثيق والتشكيك، وتحدثوا عن جمعه وتدوينه، وأثاروا العديد من الشبه حول كل مرحلة من مراحل جمعه، حيث إنهم حاولوا جاهدين إثبات عدم جمعه في حياة

---

(١) إبراهيم خليل أحمد: الاستشراق والتبشير، ص ٦٧ مكتبة الوعي العربي.

(٢) عرفان عبد الحميد: المستشرقون والإسلام، ص ٢٣.

(٣) لويس برنارد: العرب في التاريخ، ص ١٣.

(٤) جولد تسيهر: العقيدة والشريعة، ص ١٣.

النبي (ﷺ)، وأن جمعه كان في حياة أبي بكر وعثمان، وكان ذلك لأغراض خاصة، وبطرق لا تؤكد سلامته من النقص والزيادة والاضطراب، وكذلك تحدثوا عن مضمون القرآن وشكله، فتناولوا كلمة السورة والحروف المقطعة، وترتيب السور وغير ذلك، وأيضاً كانت لهم مواقف متعددة حول القراءات القرآنية، وأرجعوا سبب الاختلاف في القراءات القرآنية لخصوصية الخط العربي، بسبب أخطاء ارتكبها النساخ، إلى غير ذلك من المواقف المتعنتة والمغالطات حول الدراسات القرآنية.

ومن ثمّ فيمكن تلخيص مواقف المستشرقين من القرآن الكريم في النقاط الآتية:

١- أنه كتاب بشري ألفه محمد.

٢- أنه ليس وحياً.

٣- أنه ليس معجزة.

٤- أنه ملئ بالتناقضات كالجبر والاختيار.

٥- أنه خليط من كتب اليهودية واليونانية، وعادات الأمم الأخرى، متخذا من القصص والحكم والمواعظ والأمثال والأوامر والنواهي الواردة في التوراة والإنجيل والكتب السماوية الأخرى مثالا على ذلك، ناسيا المصدرية الواحدة لكل الكتب السماوية وهي الله تعالى، إضافة إلى ذلك اتصال محمد ببعض الأحبار والرهبان.

المبحث الأول

السمات العامة لمناهج المستشرقين في الدراسات القرآنية

المطلب الأول: المنهج لغة واصطلاحاً.

المنهج في اللغة:

يقول ابن فارس: "النون والهاء والجيم أصلان متباينان: الأول النهج، الطريق، ونهج لي الأمر: أوضحه، وهو مستقيم المنهاج، والمنهج: الطريق أيضا، والجمع المناهج، والآخر الانقطاع، وأتانا فلان ينهج، إذا أتى مبهوراً منقطع النفس، وضربت فلانا حتى أنهج، أي سقط، ومن الباب نهج الثوب وأنهج: أخلق ولما ينشق، وأنهجه البلى، قال أبو عبيد: لا يقال نهج"([1]).

وجاء في (لسان العرب): "طريق نهج: بين واضح وهو النهج والجمع نهجات، نهوج، ومنهج الطريق: وضحه، والمنهاج كالمنهج، وأنهج الطريق: وضح واستبان، وسار نهجاً واضحاً مبيناً – والمنهاج: الطريق الواضح، واستنهج الطريق صار نهجاً، وفلان يستنهج سبيل فلان أي يسلك مسلكه، والنهج الطريق المستقيم"([2])

وعلى هذا فالمنهج أو المنهاج هو الطريق الواضح، وجميع الكتب العربية التي سميت بهذا الاسم تشير إلى أن معنى المنهج أو المنهاج عند مؤلفيها هو: الطريق الواضح والسلوك البين.

---

(١) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ٣٦١/٥.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، ٦/ ٤٥٥٤.

المنهج في الاصطلاح:

لقد تحددت كلمة منهج بصورة واضحة فى عصرنا الحاضر، فأطلق عليها مجموعة من القواعد الكلية العلمية المنتظمة والمنسقة التي توصل الباحث إلى المعرفة العلمية الصحيحة ([1]).

وقيل في بيان معنى الكلمة: الطريق المؤدى إلى الكشف عن الحقيقة فى العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى تصل إلى نتيجة معلومة([2]).

وقيل: "فن ترتيب الأفكار ترتيباً دقيقاً بحيث يؤدى إلى كشف حقيقة مجهولة أو البرهنة على صحة حقيقة معلومة.([3])

وبالمعنى العلمي: هو مجموعة من الإجراءات التي ينبغي اتخاذها بترتيب معين لبلوغ هدف معين، والمنهج العلمي هو الطريقة العلمية المخططة التي تقوم على أسس علمية خالصة([4]).

من خلال هذه التعريفات، تَبين أن كلمة منهج استخدمت فى العصور القديمة بمعنى الطريق أو النظر أو البحث من أجل الوصول إلى الهدف المطلوب، ويرى البعض أن هذا المعنى للمنهج لم يستخدم بهذا المفهوم إلا فى بداية عصر النهضة، وهذا الكلام فيه نظر لأن استخدام المنهج بطريقة علمية دقيقة قد استخدم قبل ذلك، والدليل على ما أقول: أن مفكري العرب استخدموا هذا المنهج بصورة علمية دقيقة.

---

(١) د. محمود قاسم: المنطق الحديث ومناهج البحث، ص ٣٠.

(٢) د. عبد الرحمن بدوى: مناهج البحث العلمي، ص ٥.

(٣) د. توفيق الطويل: أسس الفلسفة، ص ٤٠، ط٧، القاهرة، سنة ١٩٧٩م.

(٤) د/ عبد المنعم الحفني، المعجم الفلسفي، ص ٣٤٠ ط١، دار الشارقة، القاهرة، سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٩٠م.

وعليه: فأقول إن علماء المسلمين اهتموا اهتماماً كبيراً بمسألة المنهج واعتنوا بها لذلك رأيت أن أتناول معالم المنهج لدى المسلمين:

كل ما فى الإسلام يبدأ من القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن الثابت أن القرآن الكريم زود المسلمين بمنهج للمعرفة يعتمد على مشاهدة الحس وبداهة العقل، ويتميز بالبساطة والوضوح، ويتجه إلى منفعة الإنسان فى دينه ودنياه، ولست أعنى أن القرآن الكريم كتاب فى علم المناهج، بل هو كتاب هداية ونور، وَضع طرقاً قويمة فى مجالات متعددة استنبطها العلماء من خلال دراستهم للقرآن الكريم، وهذه نماذج تبين بوضوح صدق ما أقول:

ففي مجال العقيدة: يوجد منهج الاستقراء الحسى القائم على الملاحظة والمواجهة المباشرة فى الظواهر، والاستدلال العقلي القادر على إقناع الكافة لإثبات وجود الله ووحدانيته، وكذلك إثبات البعث والثواب والعقاب، والقرآن الكريم ملئ بالآيات الدالة على ذلك.

ففي إثبات وجود الله ووحدانيته: يقول الحق: ﴿ **أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ من شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأعراف:١٨٥]، ويقول سبحانه: ﴿ **قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ**﴾ **[يونس: ١٠١].**

وفى إثبات وحدانيته تعالى يقول الحق: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ **[الأنبياء: ٢٢]**، ويقول ﴿**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ **[المؤمنون: ٩١].**

وفى إثبات البعث يقول الحق: ﴿ **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي**

الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨-٧٩].

وفى مجال الشريعة: هناك منهج الاستنباط القائم على استخراج الأحكام الفرعية لكل ما يتعرض له الإنسان فى حياته اليومية من أصول الشريعة الإسلامية، وفى علم أصول الفقه أكبر دليل على العقلية الإسلامية النشطة فى البحث على أسس منهجية، قال تعالى:

﴿ وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ٨٣].

وفى مجال المعاملات: هناك منهج الإثبات والإشهاد وتسجيل العقود، قال تعالى:**﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ...﴾ [البقرة: ٢٨٢].**

وفى مجال الأخبار المنقولة: هناك منهج التثبيت والتحري والتمحيص والبحث عن حال الناقلين للأخبار، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ [الحجرات: ٦].**

وهكذا تتنوع المناهج القرآنية بتنوع المجالات، ومن الثابت تاريخياً أن المسلمين الأوائل قد استوعبوا جيداً هذه المناهج، وقاموا بتطبيقها على نحو يدعو إلى الإعجاب فى مختلف المجالات كما فى الفقه وأصوله وعلم الرجال فى الحديث وغير ذلك.

وهذا ما يتبين لنا فى السنة النبوية ذلكم البحث العلمي الكبير لدى المسلمين، وجدنا أنه قد قام المسلمون بجمعها وتوثيقها، ولاشك أنهم أفادوا كثيراً من عملية توثيق النص القرآني، هذه العملية التي لم تقم على نظام عشوائي، وإنما كانت

بالمقياس العلمي الصحيح، بحثاً علمياً متكاملاً، استخدم القائمون عليه منهجاً علمياً أصيلاً، فلم يكونوا يقبلون نصاً بدون شهود ولا شهوداً بدون أن تتوفر فيهم العدالة والأمانة والضبط، ولا شك أن عملية توثيق النص القرآني أفادت الباحثين فى جمع السنة وتوثيقها وهذا واضح فى أعمال (البخاري) (ت ٢٥٦هــ) و(مسلم) (ت ٢٦١هــ)، وأصحاب السنة، وغيرهم، ومن الثابت أن مناهج علماء السنة وجامعي الصحاح هي التي أثمرت علم مصطلح الحديث، ذلكم العلم الإسلامى الخالص الذى يعتبر بالمقياس العلمي الحديث وثيقة أساسية مهمة فى مناهج البحث التاريخي.(١)

المطلب الثاني: السمات العامة لمناهج المستشرقين

اختط المستشرقون لأنفسهم منهجاً خاصاً فى دراسة العلوم الإسلامية، وغنى عن البيان، أن الهدف من وراء الاستشراق، هو الهدف الديني، المتمثل فى التشكيك في صحة رسالة النبي (ﷺ)، والزعم بأن الحديث النبوي، إنما هو من عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى، والهدف الخبيث من وراء ذلك، هو محاربة السنة بهدف إسقاطها، حتى يفقد المسلمون الصورة التطبيقية الحقيقية لأحكام الإسلام، ولحياة الرسول (ﷺ) وبذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوته، وكذا التشكيك في صحة القرآن والطعن فيه، حتى ينصرف المسلمون عن الالتقاء على هدف واحد يجمعهم، ويكون مصدر قوته وتنأى بهم اللهجات القومية عن الوحي، باعتباره المصدر الأساسي لهذا الدين.

أضف إلى ذلك التقليل من قيمة الفقه الإسلامي، واعتباره مستمداً من الفقه الروماني، وفضلاً عن ذلك، النيل من اللغة العربية، واستبعاد قدرتها على

---

(١) حامد طاهر، دراسات في علم المنهج، ص ٧٥، ط القاهرة، سنة ٢٠٠١م.

مسايرة ركب التطور، وتكريس دراسة اللهجات لتحل محل العربية الفصحى، ولقد كان الهدف الاستراتيجي الديني من حملة التشويه ضد الإسلام، هو حماية أوروبا من قبول الإسلام، بعد أن عجزت عن القضاء عليه من خلال الحروب الصليبية، لذا سلك المستشرقون فى تحقيق أهدافهم مسلكاً خاصاً، هذا المسلك من سماته ما يلى:

أولاً: التحريف:

إن دراسة المستشرقين للعلوم الإسلامية بصفة عامة، والعلوم العقدية بصفة خاصة، اعتراها بالجملة، العديد من ألوان التغيير، والتبديل، والفهم الخبيث للمضمون، ومن بين المستشرقين الذين سلكوا هذا الجانب (جولد تسيهر) ([١])، و القس (زويمر) ([٢])، و(فيليب حتى) ([٣]) وغيرهم، لكن ما يدعو

---

(١) مستشرق، مجري، يهودي، ولد في مدينة أشتو لفيسنبرج في بلاد المجر في ٢٢/٦/١٨٥٠م [١٢٦٦ هـ] من أسرة يهودية ذات مكانة وقدر كبير أما ما أثّر على شخصيته وتكوينها النفسي والعلمي كان من خلال: انتمائه إلى بلاد المجر التي كانت آنذاك جزءً من الإمبراطورية النمساوية . انتمائه إلى أسرة يهودية كان لها حظاً من المكانة في الحياة الاجتماعية (ينظر: العقيقي: المستشرقون ٣٣٢/١).

(٢) صموئيل زويمر (١٩٥٢م) من أبرز المستشرقين الأميركيين الذين خاضوا عملهم ميدانياً في منطقة الشرق الأوسط خصوصاً جنوب العراق ودول الخليج العربية، وهو المحرر للمجلة الإنجليزية الاستشراقية الشهيرة عالم الاسلام وقد اشتهر بدوره التبشيري وعدائه الشديد للإسلام، له مؤلفات عديدة عن الإسلام في العالم، وعن العلاقات بين المسيحيّة والإسلام، منها كتاب يسوع في إحياء الغزالي وكتاب الإسلام تحد لعقيدة صدر سنة ١٩٠٨م .

(٣) فيليب حتى (١٩٨٧م) مستشرق لبناني الأصل، عنى بالدراسات الشرقية والعربية، وأسهم إسهاماً كبيرا فى إنشاء مركزا للدراسات الشرقية فى أمريكا، له العديد من=

للعجب وجود مستشرق مصري مسيحي بين هؤلاء المستشرقين وهو (عزيز عطية سوريال)، والذى يعمل بإحدى الجامعات الأمريكية، شديد الحقد على الإسلام والمسلمين، وكثير التحريف للتعاليم الإسلامية ([١]).

ثانياً: التعصب:

من البين أن الباحث النزيه الشريف فى أي ميدان من الميادين لابد أن يتخلص من الهوى والميل الشخصي، ويتابع النصوص والمراجع الموثوق بها، لكن أغلب هؤلاء يضعون فى أذهانهم فكرة تصيد الأدلة لإثباتها، ولا يهمهم فى ذلك كونها صحيحة أم فاسدة.

والأمثلة على ذلك كثيرة، فعلى سبيل المثال لا الحصر: المستشرق المجرى (جولد تسيهر) عندما أعرض عما أجمعت عليه كتب الجرح والتعديل، وكتب التاريخ من صدق الإمام (الزهري) (ت١٢٤هـ) وورعه وأمانته، وزعم أنه لم يكن كذلك، بل كان يضع الحديث للأمويين، وهو الذى وضع الحديث الشريف الذى روى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، (ﷺ)، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: "لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ، الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ (ﷺ)، وَالمَسْجِدِ الأَقْصَى"([٢])، لعبد الملك بن مروان ([٣]).

=المؤلفات، منها: تاريخ العرب، و صانعوا التاريخ، و تاريخ سوريا وفلسطين (عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ٤٣٤/١).

(١) ينظر: د. مصطفى السباعي الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ص ٤٢، ط: دار الوراق للنشر والتوزيع، بدون تاريخ.

(٢) أخرجه البخاري فى صحيحه، فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة. ٧٦/٢، ومسلم في صحيحه، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد١٢٦/٤.

(٣) ينظر: د. مصطفى السباعي: السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى، ص ٣٨٥.

ثالثاً: التناقض:

من يبحث فى كتب المستشرقين، يجد هذه السمة واضحة وضح النهار، حيث إن ما قدموه من مقدمات لم يصلوا إليه من خلال نتائج سليمة، وقد أحسن المستشرق الفرنسي المسلم (ناصر الدين دينيه)، في حديثه عن المستشرقين، وحكمهم على الأشياء، مما جعلهم يتناقضون فيما بينهم، تناقضاً واضحاً فى الحكم على شيء واحد، كل ذلك لأنهم حاولوا أن يحللوا السيرة النبوية، وتاريخ ظهور الإسلام، بحسب العقلية الأوروبية، فضلوا وأضلوا ضلالاً بعيداً.

وأظهر أن الذين حاولوا نقد سيرة النبي (ﷺ) بهذا الأسلوب الأوربي، لبثوا ثلاثة أرباع قرن يدققون، ويمحصون بزعمهم، حتى يهدموا ما اتفق عليه جمهور المسلمين، وبالنظر إلى آرائهم التي أتوا بها، لا نجد إلا خلطاً وخبطاً، وترى كل واحد منهم يقرر ما نقضه غيره من هؤلاء المدققين بزعمهم، أو ينقض ما قرره([1]).

يقول (رودي بارت):

"فنحن معشر المستشرقين، عندما نقوم اليوم بدراسات فى العلوم العربية، لا نقوم بها قط لكى نبرهن على تقديرنا الخاص للعالم الذى يمثله الإسلام، ومظاهره المختلفة، والذى عبر عنه الأدب العربي كتابة، ونحن بطبيعة الحال لا نأخذ كل شيء ترويه المصادر على عواهنه، دون أن نعمل فيه النظر، بل نقيم وزناً فحسب لما يثبت أمام النقد التاريخي، ونحن فى هذا نطبق على الإسلام، وتاريخه المعيار النقدي نفسه، الذى نطبقه على تاريخ الفكر عندنا، وعلى المصادر المدونة لعالمنا نحن"([2]).

---

(١) من كتابه الذى ألفه فى الرد على الآب لامنس اليسوعى بعنوان: "إنك في واد وإنا لفي واد " نقلاً عن شكيب أرسلان: حاضر العالم الإسلامى: المقدمة ٣٣/١.

(٢) رودى بارت، ص ١٠ نقلاً عن الاستشراق والخلفية الفكرية، ص ٢٣.

المطلب الثالث: النقود الموجهة لكتابات المستشرقين.

هناك العديد من الملاحظات الواضحة على كتابات المستشرقين ومناهجهم، في دراساتهم للقرآن الكريم وقضاياه، نذكر منها إجمالاً ما يأتي:

١- الإتيان بالشواذ والآراء التي تثير الدهشة.

٢- تعمد إساءة فهم النصوص وتوجيهها إلى غير دلالتها، والمغالطة فيها في المناقشات العلمية التي تثار بينهم وبين المسلمين.

٣- اجتماع سوء الظن مع سوء الفهم لكل ما يتصل بالإسلام في أهدافه ومقاصده.

٤- التجريح في علماء الإسلام، وشن حملات على التماس الأسانيد الضعيفة والمنبوذة.

٥- الاعتماد في أبحاثهم على الأدلة الباطلة التي ردها علماء الإسلام بدلائل علمية قاطعة، ونسبتها إلى العلماء الذين ردوها على أنها آراؤهم المعتمدة.

٦- اقتطاع الفقرات من النصوص لإثبات الأغراض الخبيثة، وقد ذكر ذلك الدكتور (سزكين) في نقده للمستشرق (جولدتسيهر).

٧- تزوير الوقائع التاريخية، وعدم الاستقامة في تعليلها في تفسير النصوص والوقائع التاريخية، ومثال ذلك تعليلهم لروائع الفتح الإسلامي ببواعث ورغبات خيالية مماثلة للنزوات الاستعمارية الغربية.

٨- تحكمهم في المصادر التي ينقلون عنها؛ فهم ينقلون مثلا من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه ويصححون ما ينقله الدميري في كتاب الحيوان، ويكذبون ما يرويه مالك في الموطأ، كل ذلك انسياقا مع الهوى وانحرافاً عن الحق[١].

---

(١) ينظر: مصطفى السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص ١٨٨، حسن ضياء الدين: وحي الله ص٢٣، محمد ذياب: حول مشكلة الاستشراق، ص٣٤، مجلة منبر الإسلام العدد ١٢، ذو الحجة سنة ١٤٣٢هـ.

أما عن النقد التحليلي لمناهج المستشرقين فلنأخذ ما ذكره (رودي بارت) أنموذجاً، ونحاول عرضه على النحو الآتي:

بالنظر فيما ذكره (رودى بارت) قد لا تبدو عليه أية ملاحظات، فهو سليم من الناحية العلمية، لكن الفحص الدقيق أثبت أن كثيراً منهم مصنوع، وكثيراً ما يكون الدافع إليه الرغبة فى التجريح، وتوهين العقيدة الدينية والشريعة الإسلامية(١).

ومن بين الذين سلكوا هذا المسلك المستشرق (مونتجمرى وات) الذى طبق هذا المنهج فى دراسته للعقيدة الإسلامية، ففي كتابه: (محمد في مكة) في فقرة عنوانها "الموقف " وهو يعنى بهذا الموقف الذى يلتزمه فى بحثه فيقول:

"إن هذا الكتاب سيهتم به ثلاثة أنواع على الأقل من القراء، أولئك الذين يهتمون بالموضوع باعتبارهم مؤرخين، وأولئك الذين يقبلون عليه باعتبارهم مسلمين، والذين يقبلون عليه باعتبارهم نصارى، ولكنه على كل حال موجه إلى المؤرخين، وقد حاولت أن ألتزم الحياد فى القضايا المختلف فيها بين الإسلام والمسيحية، مثلاً لكي أتجنب الحكم على القرآن بأنه كلام الله، أو ليس بكلامه، فقد تجنبت حين الإشارة إلى القرآن استعمال عبارتي: (قال الله) و (قال محمد)، فلم أقل إلا (قال القرآن)، إنني لا أعتقد أن الإنصاف التاريخي ينطوي على نظرة مادية، وإنما أكتب باعتباري موحداً "(٢).

ثم يعترف بأن نظرته الأكاديمية هذه لا تكفى، ويدعو المسيحيين لاتخاذ موقف ديني من محمد، ويرى أن كتابه وإن كان ناقصاً من هذا الجانب، إلا

(١) ينظر: إبراهيم اللبان:المستشرقون والإسلام، ص ٣٢.

(٢) وات: محمد في مكة، ص ٣، ط: ١٩٥٣م.

"أنني أزعم أنه يضع بين أيدى المسيحين المادة التاريخية، التي يجب اعتبارها فى تحديد الحكم الديني"([١]).

وفى استخدامه نوع من التخدير يطمئن قراءه المسلمين، بأنه قد حاول مع التزامه بقواعد البحث التاريخي، ألا يقول شيئاً يقتضى رد أي مبدأ من مبادئ الإسلام الأساسية، ويؤكد أنه ليس من الضروري أن تكون هنالك هوة لا يمكن اجتيازها، بين هذه البحوث الغربية، والعقيدة الإسلامية.

وإذا كانت بعض النتائج التي توصل إليها الباحثون الغربيون غير مقبولة للمسلمين، فربما كان السبب أن هؤلاء الباحثين، لا يلتزمون دائماً بقواعد بحثهم، وأن نتائجهم هذه تحتاج إلى مراجعة، حتى من الوجهة التاريخية البحتة، ولكن ربما كان صحيحاً أيضاً، أن هنالك مجالاً لإعادة صياغة المبادئ الإسلامية، من غير تغيير فى جوهرها.

ولم يكتف (وات) بتبيان منهجه فقط، بل نقد المناهج الأخرى التي سلكها الغربيون، فى كتاباتهم عن العقيدة الدينية، فيقول:

"منذ محاضرة (كار لايل) عن محمد فى كتابه (الأبطال وعبادة الأبطال) أدرك الغرب أن الاعتقاد فى إخلاص محمد يسنده حجة قوية، فاستعداده لأن يتحمل الأذى فى سبيل معتقداته، والمستوى الأخلاقي الرفيع الذى اتصف به الرجال الذين آمنوا به، كل هذا ينم عن استقامته، والافتراض بأن محمداً كان مدعياً لكثير من المشكلات أكثر مما يحلها"([٢]).

---

(١) وات: محمد فى مكة، ص ٣.

(٢) مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية ١/٢١٠، ط (١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس سنة ١٩٨٥م.

وإن كنا نريد تصحيح الأخطاء التي ورثناها من الماضي، فينبغي أن نتمسك عند كل قضية بالاعتقاد فى إخلاصه حتى يتبين لنا العكس، بحجة قاطعة، وينبغي أن نتذكر أن الحجة القاطعة، مطلب أصرم من الحجة التي تبدو فى الظاهر معقولة، وأنها لا تنال فى مثل هذه الأحوال إلا بعسر([1]).

هذا هو منهج (وات) فى دراسته للعقيدة الدينية، والذى يعد أنموذجاً لتبيان رؤية وهوية الفكر الاستشراقي، ومن خلاله تبين الآتي:

١- القول بأنه محايد بين القول بأن القرآن كلام الله، أو أنه من عند محمد، وقد حاول مجاملة للمسلمين ألا يقول شيئاً فيه إنكار لشيء من معتقداتهم الأساسية([2]).

٢- أن مقصده بالنظرة العلمية، هو العقلية الحديثة القائمة على إنجازات العلم، وعلى الاعتقاد بإمكانية تطبيق طرقه فى مجالات كثيرة، وذلك فى كتابه (الوحى الإسلامى فى العالم الحديث)([3]).

٣- تكرار اعتقاده بأن اتجاهات البحث العلمي الغربي لا يلزم أن تتعارض مع الإسلام، وأنه من الممكن أن يجمع الإنسان، بين الالتزام بمقتضيات هذا المنهج، وبين قبول مخلص للإسلام، وإن كان قبولاً غير ساذج([4]).

إن هذه الأمور السالفة لا يطلب الباحث النزيه إلا إياها، بعيداً عن التعصب والتجن، لكن (وات) لم ولن يلتزم بهذا المنهج الذى ألزم به نفسه، وذلك للأسباب الآتية:

---

(١) ينظر: مناهج المستشرقين ١/٢١٩

(٢) ينظر: وات: محمد فى مكة، ص ٣.

(٣) ينظر: وات: الوحى الإسلامى فى العالم الحديث، ص٥٣، ط سنة ١٩٦٩م.

(٤) ينظر: وات: محمد فى مكة، ص ٥٣.

أولاً: استبعاده إمكان وقوع الظواهر الدينية، التي لا تخضع لقوانين الأجسام المادية المعروفة، واعتمد على هذه الفلسفة صراحة فى بعض تعليلاته، ومن أمثلة ذلك، أنه بعد أن لخص حياة النبي (ﷺ) قبل الزواج بخديجة (رضي الله عنها)، في نصف صفحة، قال: هذه هي الحقائق الأساسية عن حياة محمد قبل الزواج، من وجهة نظر المؤرخ العلماني، وعليه استبعد واط إمكان وجود الوحى بأنواعه المعروفة، وكذا استبعاد رؤية النبي (ﷺ)، لجبريل (عليه السلام)، على أساس أنها لا يمكن أن تكون تاريخية(١).

ثانياً: اعتماده الفلسفة المادية البحتة فى منهجه، بل يمكن القول بأنه من غلاة العلمانيين، ويتمثل ذلك فى أنه بعد أن تحدث عن أثر العوامل الاقتصادية فى تنمية الشعور بالاتجاه الفردي، وبعد أن تبرأ من قول الماركسيين، أن الدين يعتمد على العوامل الاقتصادية، يختم كلامه بقوله:

"إن التوتر الذى كان يشعر به محمد، وبعض معاصريه يعزى فى النهاية، وبلا شك إلى هذا التنافر بين سلوك الناس الواعي، والأساس الاقتصادي لحياتهم"(٢).

ثالثاً: اتباعه الظن فى الكثير من القضايا التي تسندها شواهد تاريخية، ويستبدل بها مزاعم لا دليل عليها، وليس لها ما يصوغها علمياً.

رابعاً: عدم الثقة فى علماء المسلمين، وعامتهم، فعندما يورد الحقائق التي ذكروها، وأجمعوا عليها، يوردها بصيغة التحريض والتشكيك، إن لم يجد فى إنكارها ما يخدم له غرضاً، ومن الشواهد على ذلك أنه يتحدث عن سورة

---

(١) ينظر: وات: محمد في مكة، ص ٤٢.

(٢) السابق، ص ٢٠.

(العلق)، بأنه لا توجد اعتراضات مقبولة، على الرأي الذى يكاد يكون مجمعاً عليه بين العلماء المسلمين، وهو أن هذه أول سورة أوحى بها([1]).

هكذا يظهر لنا عدم انضباط منهجية كثير من المستشرقين فى الكليات أو الجزئيات، مما يجعل الباحث فى ريب دائماً من البحوث الاستشراقية، وبالفحص والتدقيق ثبت أن نتاج المستشرقين مصنوع، وكثيراً ما يكون الدافع إليه الرغبة فى التجريح، وتوهين العقيدة، والشريعة([2]).

والباحث فى نتاجهم، يرى أنهم لا يترددون فى الاعتماد على الأحاديث الضعيفة، وهم ينقبون فى طوايا كتب التاريخ والسير، عن أخبار ضعيفة غير ثابتة، يدعّمون بها آرائهم.

تعقيب:

وإن كنا قد أشرنا إلى منهج المستشرقين فى دراسة العقيدة، لكنا نثبت أن الطريق الذى انتهجه المستشرقون فى نظرتهم إليها، وبخاصة الذات الإلهية، أنها تعتمد على أمور عدة، مهما اختلفت المدارس الاستشراقية فى ذلك، لكنها تتفق عند هذه النقاط:

١- عدم النزاهة العلمية.
٢- هيمنة المفاهيم الكنسية على عقول المستشرقين من النصارى.
٣- روح التعصب الذى يبعد عن الموضوعية.
٤- نزعة التشويه والتضليل.

---

(١) ينظر: وات: الوحي المحمدي فى العالم الحديث، ص ١٨.

(٢) ينظر: إبراهيم اللبَّان: المستشرقون والإسلام، القاهرة، مجلَّة الأزهر، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، ص ٤٤، (ملحق مجلَّة الأزهر).

٥- النفاق الذى يردده بعض المستشرقين، المقصود منه تمرير الدعوات التي تستتر خلف هذه الدعوات([1]).

إننا بصورة مؤكدة نقرر فى جلاء، أن المستشرقين فى منهجهم للدراسات الإسلامية، يلتمسون نقاط الضعف، سواء في كتبنا، أم في مجتمعنا، وهم يعتمدون الأهواء الشخصية، والميول التي تساعدهم فى دعم آرائهم، دون الأخذ بوجهات نظر العربي، أو الإسلامي في كثير من الأحيان، ودون الاعتماد على مبدأ المقارنة، الذي يوصلهم إلى الحقائق، وبذلك تعد آرائهم ذات منظار واحد، وهى من أخطر الأمور التي تقودهم إلى نتائج مغايرة للواقع، وهم يهملون مشاعر وآراء الجانب العربي والإسلامي فى تحليلاتهم، ويستعرضون بطريقة يطلقون عليها (الرصانة العلمية) و (الموضوعية) بينما يفقدون المعاني الحقيقية، التي بإمكانهم الوصول إليها([2]).

وهم يزنون ما يختص بالأمة العربية، بموازين تختلف عن ما يستخدمونه فى أمورهم العلمية، كما أن المستشرقين يعتمدون على المغالطة فى المناقشات العلمية، وسوء الظن والفهم، واعتمادهم على الأقوال الباطلة التي ردها العلماء المسلمون بدلائل علمية، فتجاهلوا الردود والدلائل، وانصب اهتمامهم على أنواع معينة من العلوم الشرقية، لتحقيقها، كالفلسفة وعلم الكلام....([3]).

فضلاً عن ذلك، اهتمام المستشرقين بالشخصيات التي تتشابه سيرتها مع العقائد المسيحية، فيعطونها مكانة بارزة فى إصداراتها، ولم يقفوا عند هذا الحد،

---

(١) ينظر: سعدون الساموك: الاستشراق ومناهجه فـي الدراسـات الإسـلامية، ص ٣٧، ط: (١) دار المناهج للنشر والتوزيع الأردن سنة ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٧.

(٣) ينظر: أنور الجندي: شبهات التغريب فى غزو الفكر الإسلامى، ص ٨٧.

بل استخدموا المبدأ (الميكافيلي) فى نهجهم، واستخدموا كل وسائل التزوير والاحتيال والافتراء، لذا لما درسوا الإسلام كانوا متحزبين عليه، يقول العالم (محمد أسد):

"إن أبرز المستشرقين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمي([1])، ووصف تحاملهم على الإسلام والمسلمين، بأنه غريزة موروثة وخاصة طبعية، تقوم على المؤثرات التي خلفتها الحروب الصليبية، بكل ما لها من زيول فى عقول الأوربيين الأوائل"([2]).

إن هذه المنهجية الغاشمة فى الفهم وسوء النية، جعلت المسلمين يعبرون عن هذا بكل ما أوتوا من قوة علمية، إزاء هذا التحامل الظالم على الإسلام من جانب المستشرقين، وهذا يعنى فى نظرهم، عدم قدرة المسلمين، على فهم الأمور فهماً علمياً، فالمستشرقون ليس لديهم أحكام مسبقة كما نعتقد، والحقائق التي يتوصلون إليها تتسم بالحياد والموضوعية العلمية([3]).

ومعنى ذلك أن علينا تقبل ما يقوله المستشرقون عنا، وعن ديننا، ونحن صاغرون، وليس لنا حتى مجرد حق التعبير عن الاستياء، وإلا فنحن متخلفون جاهلون قاصرون، عن فهم الأمور فهماً علمياً، ولست أدرى من الذى ندب هؤلاء المتغطرسين لتنويرنا، ومن أعطاهم حق الوصاية الفكرية.

ونختم هذا كله بقول الشيخ (الغزالي) حينما يحكم على منهج المستشرقين قائلاً:

---

(١) محمد أسد: الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة: د. عمر فروخ، ص ٥٣، ط: دار العلم للملايين بيروت، بدون تاريخ.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٣.

(٣) ينظر: محمود زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ٨٥، ط: دار المعارف القاهرة بدون تاريخ.

"إن الاستشراق كهانة جديدة تلبس مُسوح العلم، والرهبانية فى البحث، وهى أبعد ما تكون عن بيئة العلم والتجرد، وجمهرة المستشرقين مستأجرون لإهانة الإسلام، وتشويه محاسنه والافتراء عليه"([1]).

(١) محمد الغزالي: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، ص ٨، ط: (١) دار نهضة مصر.

المبحث الثاني
مناهج المستشرقين في الدراسات القرآنية

التمهيد: حول مناهج المستشرقين في الدراسات القرآنية

يجب التنبيه في البداية على عدة أمور مهمة ونحن بصدد تبيان مناهج المستشرقين في الدراسات القرآنية، هي بمثابة إزالة للغموض واللبس الذي قد يعترض الباحث أثناء قراءة البحث، وذلك على النحو الاتي:

أولاً: فرق شاسع بين السمات العامة لمناهج المستشرقين، بصفة عامة، وبين مناهج المستشرقين في الدراسات القرآنية، حيث يرى البعض أنهما صنوان، وهذا خطأ منهجي، والسر في ذلك أن السمات العامة للمناهج تعد نواة فكرية ومرتكز أساسي لأي فكرة موضوعة للبحث والمناقشة، وقد تكون السمات صالحة للبحث في الدراسات القرآنية، والعقيدة والحديث والتاريخ والحضارة، ومن الممكن أن توظف توظيفا جيداً على الدراسات بصفة عامة، وقد يوظف منهج بعينه على جانب **واحد من الجوانب، مع الاستدلال وضرب الأمثلة التي توثق الفكرة**، أما المناهج الخاصة بالدراسات القرآنية فهي موظفة على القضايا والمسائل التي تخص القرآن الكريم وعلومه، ما دمنا على ضرب واحد في الطرح والعرض.

وقد تكون كل السمات والمناهج مكملة لبعضها، وما ورد في واحد لم يرد في الآخر، ويكون هذا عونا لذاك.

أمر آخر جدير بالاهتمام هناك سمات للكتابات قد تكون عامة، وهناك مناهج للبحث والدراسة، وفرق شاسع بينهما ينقصه الاستدلال والبرهان كما سوف نبين في المبحث القادم.

قد تكون السمات عامة، والمناهج خاصة والعكس.

ثانياً: أمر مهم يتعلق بالدراسة، وهو أن المناهج الخاصة بالمستشرقين في بحث الدراسات والقضايا القرآنية، تتغير وتتبدل من باحث لآخر، تبعا لخلفيات الباحث ومنطلقاته الفكرية في توظيف المنهج على الدراسة بعينها.

هناك بعض الباحثين عمموا المناهج فذكروا أن مناهج المستشرقين في الدراسات القرآنية لا تتعدي منهجا واحداً([١]) ومنهم من عدها أربعة مناهج([٢])، ومنهم من خلط بينهما([٣]) ومنهم من اعتدل وعد المناهج الجزئية ضمناً في المناهج الكلية، وبالتالي تؤدي الغرض المطلوب([٤]) ومنهم من لم يلتزم بهذا ولا ذاك([٥]).

ثالثاً: لذلك سوف أعتمد المناهج المنوطة بالدراسة، والتي قد لا تتداخل، ولا تتناقض، ولا يقصي بعضها البعض الآخر ما أمكنني ذلك، كل هذا وغيره

---

(١) هذا ما أقره صاحب منهج الإسقاط في الدراسات القرآنية عند المستشرقين، الدكتور/ محمد عامر عبد الحميد، (بدون تاريخ) وقد وظف كل ما يتعلق بالمناهج الأخرى وأسقطها على منهجه تقريباً.

(٢) هذا ما ذكره الباحث يوسف موسى وآخرون في بحث بعنوان أساليب الاستشراق وغاياته من دراسة الفكر الإسلامي (سنة٢٠١١م) حيث ذكر الباحث منهج التأثر والانشطار وأضاف منهجين ضمنا هما الشك والتزوير.

(٣) وهذا ما ذكره العديد من الباحثين أمثال الباحث سعد الساموك، في كتابه الاستشراق ومناهجه، وذلك بطريق العموم دون تفصيل أو توظيف.

(٤) وهذا ما ذكره صاحب كتاب آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، للدكتور/ عمر بن إبراهيم رضوان، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض بدون تاريخ.

(٥) وهذا ما ذكره الباحث/ يوسف عبد الله آل ناصر، في بحثه مناهج المستشرقين في الدراسات القرآنية، جولد تسيهر أنموذجاً، بدون تاريخ.

موثق بالدليل والبرهان من واقع كتابات المستشرقين أولاً، وما كتب عنهم ثانياً، معقب على كل بالقبول والرفض([1]).

المطلب الأول: منهج الطعن والتشكيك

الطعن جمع طعنة، وهو من الوخز أو النخس، جاء في كتاب (جمهرة اللغة) (لابن دريد الأزدي) (**ت ٣٢١هـ**): "طعن بالرمح يطعن، ويطعن طعنا، وطعنت في الرجل أطعنه طعنانا، إذا ذكرته بقبيح...وقال الأصمعي: الطعن بالرمح، والطعنان باللسان هكذا كلام العرب. وتطاعن القوم طعانا وأطعنوا إطعاناً، والطاعون: الداء المعروف، ورجل طعان في أعراض الناس، وقوم مطاعين.."([2]).

والطعن ما أصاب الغرض وأثّر فيه، قال المناوي: الطعن: الضرب بالرمح، واستعير للوقيعة([3]).

والطعن: بفتح فسكون من طعن فيه أو عليه بالكلام: عابه، ومنه: الطعن في العرض، والطعن في الحكم([4]).

---

(١) هناك العديد من الدراسات التي حققت جانبا كبيرا من الموضوعية في هذا الصدد، أمثال المنهج عند المستشرقين للدكتور/ عبد العظيم الديب، وكتاب مناهج المستشرقين في دراسة القرآن الكريم للدكتور/ حسن عزوزي، لكن هناك العديد من الملاحظات والتي سوف نوردها في موضعها من البحث إن شاء الله تعالى.

(٢) ابن دريد الأزدي: جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي ٩١٧/٢، ط:١، دار العلم للملايين – بيروت، سنة ١٩٨٧م، وينظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ٤١٢/٣.

(٣) المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف ٢٢٧/١.

(٤) محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء٢٩١/١، ط٢، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

وقيل هو النخس في الشيء بما ينفذه، ويأتي الطعن بمعنى القدح والذم، والطعن في الناس: الانتقاص لهم، قال تعالى: "وَطَعْناً فِي الدِّينِ"[النساء:] (١)، وفي الحديث:" لا يكون المؤمن طعاناً"(٢).

وعليه فالطعن من قبل المستشرقين، يعد من باب توجيه العيوب والنقائص إلى من يخالفهم في الرأي، والدين والمعتقد، وبالتالي فلا يحترمون اجتهادات غيرهم في أمور لا تقبل الاجتهاد، كما سنبينه فيما بعد.

والشك: "الشين والكاف أصل واحد مشتق بعضه من بعض، وهو يدل على التداخل، من ذلك قولهم شككته بالرمح، وذلك إذا طعنته فداخل السنان جسمه، ومن هذا الباب الشك، الذي هو خلاف اليقين، إنما سمي بذلك لأن الشاك كأنه شك له الأمران في مشك واحد، وهو لا يتيقن واحدا منهما، فمن ذلك اشتقاق الشك، تقول: شككت بين ورقتين، إذا أنت غرزت العود فيهما فجمعتهما.

قال الجرجاني: "الشك: هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك، وقيل: الشك: ما استوى طرفاه، وهو الوقوف بين الشيئين لا يميل القلب إلى أحدهما، فإذا ترجح أحدهما على الآخر فهو ظن، فإذا طرحه فهو غالب الظن، وهو بمنزلة اليقين"(٣).

وعليه فالشك ضد اليقين ويمكن أن يكون بابا من أبواب الرد، وهذا طابع المستشرقين، وديدنهم، في كل بحوثهم.

---

(١) نشوان الحميري: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ٤١١٧/٧،

(٢) أخرجه الترمذي في البر، باب: ما جاء في اللعنة، رقم (١٩٧٨) والحاكم في مستدركه (١/ ١٢ و ١٣) وهو بهذا اللفظ في النهاية: (٣/ ١٢٧).

(٣) الجرجاني: التعريفات ١٢٨/١

إن منهج الطعن والتشكيك على مدار التاريخ ثابت لم يتغير حيال الدراسات الإسلامية من قبل المستشرقين وغيرهم، لكنه في هذا الصدد يختص بخصوصية مهمة وهي توظيفه على القضايا القرآنية المنوطة بالدراسة، والتي تهدف إلى إثارة البلبلة والشك والانتقاص من القرآن الكريم، وهذا منهج المخالفين قديما وما زال.

فلقد حاول المشركون قديما الطعن في القرآن الكريم، والانتقاص منه، وباءت كل محاولاتهم بالفشل، وسجل القرآن عليهم هذه المطاعن، مفندا مزاعمهم، قال تعالى: {**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**} [الفرقان: ٥]، ووصفوه بأنه مفترى من عند محمد، قال تعالى: {**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**} **[يونس: ٣٨]، وقالوا عنه: {فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ}** [المدثر: ٢٤].

واتهموا الرسول بأنه تلقى القرآن تعلما بين يدي راهب أعجمي، وهذا ما ردده المستشرق الفرنسي (بلاشير) في كتابه: (القرآن، نزوله، ترجمته، تأثيره)([1]) وغيره من المستشرقين، قال تعالى: {**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**} [النحل: ١٠٣]

وإذا ألقينا الضوء على هذا المنهج لدى المستشرقين، فلقد استخدم المستشرقون هذا المنهج في الثوابت القطعية، والمبالغة في إثارة الشكوك حول

---

(١) ترجمت الطبعة الأولى من هذا الكتاب إلى اللغة العربية سنة ١٩٧٤م، بترجمة رضا سعادة وأشرف على الترجمة الدكتور الآب فريد جبر، وراجعه الشيخ محمد علي الزغبي، دار الكتاب اللبناني.

الروايات الصحيحة والوقائع التاريخية التي تتعلق بالقرآن الكريم وعلومه، كما أنهم شكوا في أمانة نقله وسلامة تبليغه، فضلاً عن جمعه وترتيبه، بغية زلزلة العقيدة الإسلامية، وفتح باب الشك والريبة، حيث إن لديهم يقين في أن الشك في نص يوجب الشك في نص آخر.

لذلك فهم يسارعون في النقل من غير تحرز، ولا يختبرون الأسانيد، ويلحون في طلب روايات الاختلاف، ومن أهم البراهين على ذلك ما فعله المستشرق الإنجليزي (آرثر جفري) من جمع للاختلافات المنسوبة إلى المصاحف([1]) الفردية لبعض الصحابة أمثال ابن مسعود، وأبي بن كعب، وعلي بن أبي طالب، وابن عباس، وأبي موسى الأشعري وغيرهم.

كما قد جمع الاختلافات المنسوبة لبعض التابعين، من مختلف المصادر القديمة "التي احتفظت بالروايات الآحاد والشاذة المنسوبة إليهم، وبخاصة تفسير الإمام الطبري الذي استقصى الشيء الكثير من ذلك.

وعلى الرغم من ذلك فإنهم يصفون مصحف عثمان بن عفان بأنه أقرب المصاحف إلى الأصل([2]).

---

(١) نشر هذا المستشرق كتاب المصاحف لابن أبي داود (ت٣١٦هـ) نجل أبي داود صاحب السنن، وألحق بهذا الكتاب مقدمة مطولة باللغة الإنجليزية ضمنها مزاعمه، علماً بأن (أبو داود) أول من طعن في هذا الكتاب وجرح ابنه، والذي أتي في المصاحف بشتى الروايات الضعيفة، والتي وجد فيها المستشرقون مرتعا خصبا للتشكيك في موثوقية النص القرآني(ينظر: آرثر جفري: المصاحف، ص ١٠).

(٢) لبيب السعيد: الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ٣٢٣، ط دار المعارف القاهرة سنة ١٩٧٨م.

فهم لا يعترفون بصحته على الرغم من أن الصحابة أجمعوا على صحته، وتلقوه بالقبول والعناية والأخذ بما تضمنه من أوجه القراءات([1]).

ومن كتب (آرثر جفري) وتحقيقاته نجد محاولات شتى للطعن في القرآن الكريم، والزعم بأنه ليس قرآنا واحدا، وحاول جاهدا إثارة الشبهات والمطاعن حول جمع القرآن وكتابته وتدوينه وحفظه، وترتيب سوره وآياته ورسمه ونقطه وشكله وغير ذلك من القضايا المتعلقة بالقرآن الكريم وعلومه.

كما لجأ المستشرق (ولش) في دائرة المعارف الإسلامية([2]) إلى أحد أبواب الشك في انفراد خاص بمصحف لابن مسعود يخلو من المعوذتين، للتشكيك في مدى تواتر السورتين([3]) مستندا على ما يقول بأدلة ضعيفة استلها من كتاب المصاحف لابن أبي داود وغيره من الكتب الموضوعة.

ومن الملاحظ أن المستشرقين لم يطرقوا جانبا من جوانب القرآن إلا وهاجموه بالتشكيك والطعن محاولين طمس كل معالم الخير فيه.

وتناول المستشرق الألماني (بروكلمان) في كتابه (تاريخ الأدب العربي) مسألة الوحي، فاعتبر الوحي نوبات صرع، ولما تناول التفسير عده علما لا أصل له([4]).

---

(١) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ١/١٢٧، ط دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) لبيب السعيد: الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص٣٢٤.

(٣) الرأي المنسوب لابن مسعود باطل من أساسه، ورده كثير من العلماء الثقات أمثال الباقلاني(ت٤٠٣هـ) في كتابه إعجاز القرآن (ينظر: ص، ٢٦٢) وكذلك الإمام النووي، ونقل عن المازري قوله في تعليل هذه الرواية، فيما لو كانت صحيحة (ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٢/١٠٨).

(٤) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ١/١٣٧.

ويصور الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه (الدفاع عن القرآن ضد منتقديه) هذا الطعن والتشكيك تصويرا جيدا حينما يقرر أن القرآن الكريم كان هدفا منذ منتصف القرن السابع الميلادي لهجوم بعض الكتّاب، وقد وجه هذا الهجوم منذ البداية يوحنا الدمشقي (٧٥٠م) في كتاب بعنوان (الطوائف) لكن أول هجوم مفصل على القرآن الكريم ورد في كتاب نيكتاس البيزنطي تحت عنوان(نقد الأكاذيب الموجودة في كتاب العرب المحمديين)...وكان علماء اللاهوت المسيحي قبل القرن السابع عشر الميلادي لا يرون أن القرآن جدير بالدراسة، ولقد أطلقوا عليه جميع الأوصاف والنعوت الشائنة، وحاولوا النيل من جوهر القرآن وتاريخه(١).

ولقد سجل المستشرق الفرنسي(بلاشير)(٢) في كتابه (القرآن نزوله تدوينه...) العديد من الافتراءات والطعون(٣)، منها أن القرآن منقول عن راهب من رهبان الكنيسة(٤)، وأما ما فيه من قصص هو أساطير معروفة في الجزيرة العربية(٥).

---

(١) عبد الرحمن بدوي: دفاع القرآن ضد منتقديه، ص ٥.

(٢) ولد ريجي بلاشير سنة ١٩٠٠م وتخرج في كلية الآداب بالجزائر، وعين أستاذا للعربية في معهد مولاي يوسف بالرباط سنة ١٩٣٨م (راجع: العقيقي: المستشرقون١/٣٦١، ط٣، دار المعارف مصر سنة ١٩١٦م.

(٣) قام بالرد على هذه الافتراءات والطعون الدكتور/ عبد الصبور شاهين في كتابه (تاريخ القرآن) كما قام بنقد هذه الدراسة أيضا الدكتور/ صبحي الصالح ضمن كتابه (مباحث في علوم القرآن).

(٤) ينظر ص ١٢-٢٦.

(٥) ينظر ص ٥٥.

ولقد حاول في كتابه (مدخل إلى القرآن) إثارة بعض الشكوك حول كتابة القرآن في المرحلة الأولى من نزوله، ولا ينفي احتمال أن يكون النص الأصلي قد أدخلت عليه بعض الزيادات الطفيفة في العهود المتأخرة[١].

أما المستشرق المجري(جولد تسيهر) فلقد حاول في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) التشكيك في النص القرآني، حيث اعتبر النص القرآني مضطرب وغير ثابت وعباراته واضحة التحيز والتعصب[٢].

ولم يكتف المستشرقون بالطعن والتشكيك في القرآن الكريم فقط؛ بل إنهم أكثروا من الطعن في عدالة بعض المفسرين الأوائل، لا سيما من كان له باع طويل ومرويات كثيرة لها أثر مهم في التفسير، وفي مقدمتهم ابن عباس، يقول (جولد تسيهر):

"كثيرا ما نجد بين مصادر العلم المفضلة لدى ابن عباس اليهوديين اللذين اعتنقا الإسلام: كعب الأحبار، وعبدالله بن سلام"[٣].

وممن سلك هذا المسلك من المستشرقين (كارادي فوا) و(مرجليوث)، يقول الثاني: "ولجوء المفسر إلى هذا النوع من الخطاب الذي يعتمد على إسناد الحديث يكشف لنا مختلف الإسقاطات التي وقعت في كتب التفسير؛ حيث كانت الرغبة منهم لتكريس مرويات بعض الصحابة الذين خصتهم كتب التراث بسيرة أسطورية مثل ابن عباس"[٤].

---

(١) ينظر ص ١٨.

(٢) ينظر ص ٣٨.

(٣) جولد تسيهر: مذاهب التفسير، ص ٣٨.

(٤) محسن عبد الناظر: دراسات جولد تسيهر في السنة ومكانتها، ص ٤٥.

ويقول (جورج سيل)(١): "أما أن محمدا كان في الحقيقة مؤلف القرآن، والمخترع الرئيسي له؛ فأمر لا يقبل الجدل، وإن كان من المرجح مع ذلك أن المحاولة التي حصل عليها من غيره في خطته لم تكن معاونة يسيرة، وهذا واضح في أن معاونيه لم يتركوا الاعتراض عليه لذلك"(٢).

ويذهب المستشرق (لوت) إلى "أن النبي مدين بفكرة فواتح السور من مثل حم وطسم والم إلى آخره لتأثير أجنبي، ويرجح أنه تأثير يهودي؛ ظنا منه أن السور التي بدئت بهذه الفواتح مدنية، خضع فيها النبي لتأثير اليهود، ولو دقق في الأمر لعلم أن سبعا وعشرين من تلك السور التسع والعشرين مكية، وأن اثنين فقط من هذه السور مدنية، وهما سورتا البقرة وآل عمران"(٣).

وهذا كله من مزاعم القوم وطعونهم في القرآن الكريم، وهي قليل من كثير مما ساقه المستشرقون، والحق أنها مزاعم واهية لا حظ لها من العلم، ولا سند لها من التاريخ والواقعية، وإنما هي تخمينات وطعون وافتراضات يضعها أصحابها كما لو كانت حقائق ثابتة لا تقبل الجدل.

المطلب الثاني: منهج الافتراضية.

يعد المنهج الافتراضي من أهم المناهج التي استخدمها المستشرقون في بحوثهم حول القضايا القرآنية، فهو يقوم على التخمين والافتراضات العقلية المزيفة، بهدف معروف ومعلوم لديهم.

الافتراضية: الفاء والراء والضاد أصل صحيح يدل على تأثير في شيء من حز أو غيره، فالفرض الحز في الشيء، يقال فرضت الخشبة والحز في سية القوس فرض...(٤).

---

(١) مقدمة ترجمته الإنجليزية لمعاني القرآن التي صدرت عام ١٧٣٦م.

(٢) اللبان: المستشرقون والإسلام، ص ٤٤.

(٣) محمود حمدي زقزوق: الإسلام في مرآة الفكر الغربي، ص ٧.

(٤) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ٤/٤٨٨.

وافتراضي: اسم مفرد منسوب إلى افتراض: ما يعتمد على الفرض أو النظرية بدلاً من التجربة والخبرة، وقيل هي: قضية أو فكرة يؤخذ بها في الاستدلال، أو البرهنة على قضية أخرى استطاع لأن يؤكد صحة افتراضيته([1]).

والافتراضية في منهجية المستشرقين البحثية، تقوم على تصديق ما هو أدنى وأقرب إلى الكذب، ولعل أبرز حقل مارس المستشرقون فيه هذا المنهج، ما تعلق بترتيب السور والآيات في القرآن الكريم، ترتيبا مخالفا لما هو مقرر عند المسلمين من كون ترتيب الآيات أمراً توقيفياً لا خلاف فيه.

ويستخدم المستشرق الفرنسي (أنري ماسيه) مصطلح الافتراض حين ينسب لعثمان بن عفان هدفا سياسيا صبا إليه، وهو يأمر بجمع القرآن الكريم فيقول: "يمكن الافتراض أنه كان لعثمان هدف سياسي بعمله هذا يعادل الهدف الديني، فقد وصل إلى الخلافة بجهد، بعد أن عزز مركزه بإقراره نصا لا يتغير للكتاب المقدس"([2]).

وهذا كلام لا يستند إلى دليل، وفرضية لا يقبلها العقل السليم فضلا عن الشرع الحكيم، وسوف نعطي إشارات تدحض هذه الفكرة، وتبطلها من أساسها. ويُعد (نولدكه) أول من رسم لنفسه هذه المنهجية، وتأثر به كل من أتى من بعده؛ فأصبح موضوع الترتيب الشغل الشاغل لأذهان المستشرقين([3]).

وسلك هذا المسلك (بروكلمان) في كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية) فقد وظف هذه المنهجية أيما توظيف، فقد عقد فصلاً موجزاً عن تعاليم محمد،

---

(١) معجم اللغة العربية ٣٤٣٢/٣.

(٢) أنري ماسيه: الإسلام، ص ٧٨.

(٣) ينظر: نولدكه: تاريخ القرآن، ص ١٥.

أعطى فيه صورة مشوهة لأركان الإسلام الخمسة، وأن معظمها قد استقاه من التوراة والإنجيل وعادات الأمم الخالية([1]).

وهكذا أرجع (بروكلمان) تعاليم القرآن إلى عادات ومعتقدات الأمم القديمة، وكذلك إلى البيئة التي نشأ فيها محمد، وهذا كله محض افتراء وتضليل، ويمثل جهلا فاضحا وتشويها مقصودا لحقائق لا يرتاب فيها إلا كل من سيطر التعصب على عقله ووجدانه.

ومن بين المسائل التي لاكها المستشرقون مستخدمين فيها هذه المنهجية الزائفة؛ التشكيك في الوسائل المستخدمة في حفظ القرآن الكريم، ومن ثم نفوا أن يكون قد دون في عهد النبوة، ولقد زعم (بلاشير) أن فواتح السور بالأحرف المقطعة ليست من القرآن الكريم، فمثلا حرف الميم كان رمزا لصحف المغيرة، والهاء لصحف إبراهيم، والصاد لسعد بن أبي وقاص، والنون لصحف عثمان بن عفان([2]).

ويأتي (دوزي)(ت١٨٨٣م) بفرضية أن القرآن الكريم كتاب ذو ذوق رديء للغاية، ولا جديد فيه إلا القليل، وفيه إطناب بالغ، وحمل إلى حد بعيد([3]).

وهذا (آرثر جفري) يأتي بفرضية حول سورة الجن، زاعما أن الآيات الواردة في نهايتها تختلف عن أسلوب السورة ومحاورها، فيقول: "إن الآيات الخاتمة للسورة تختلف كثيرا في الشكل والأسلوب، وتظهر وكأنها قطعة غريبة وضعها جامعوا القرآن أو كتبته"([4]).

---

(١) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية١/١٥٥.

(٢) ينظر: محمد غلاب: نظرات استشراقية، ص ٤٢٣.

(٣) ينظر: محمود حمدي زقزوق: الإسلام في الفكر الاستشراقي، ص ١١٨.

(٤) آرثر جفري: القرآن، ص ٣٢، ط سنة ١٩٨٢م.

وهذا كلام باطل لا أساس له، ولو رجع آرثر إلى كتب التفسير لتبين له أنه لا اضطراب ولا اختلاف، يقول الإمام (برهان الدين البقاعي)(ت٨٨٥هـ):

"لقد التقى أول السورة وآخرها؛ فدل آخرها على الأول المجمل، وأولها على الآخر المفصل، وذلك أن أول السورة بين عظمة الوحي بسبب الجن، ثم بين في أثنائها حفظه من مسترقي السمع، وختم بتأكيد حفظه وحفظ جميع كلماته..."(١).

وفيما يتعلق بفرضية نزول القرآن التي أوردها (بلاشير) فقد نفى أن يكون ما نزل من القرآن في مكة، قد دون في عهد الرسول، وأن بدء التدوين كان بعد الهجرة، ومع ذلك لم يكن هذا التدوين صحيحا ودقيقا، فسقطت آيات كثيرة منه، فضلا عن أن بعض ما كان مكتوبا عليه من الرقاع قد ضاع(٢).

إن هذا المستشرق أو ذاك، قد ذهب بهم الخيال والافتراض مذهبا غريبا وبعيدا عن الحق، وهو فيما ذهب إليه لا يملك دليلا علميا، ولا يستطيع البرهنة على تلك النظرية الفاسدة، فضلا عن أن كل المصادر التي أرخت للفترة المكية أشارت إلى كتّاب الوحي الذين قاموا بأقدس مهمة في التاريخ، وهذا ديدن المستشرقين، افتعال الشكوك، واختلاق الظنون، والطعن فيما هو مجمع عليه.

إذن منهجية المستشرقين، ومن سلك مسلكهم تنم عن تعسف في إطلاق الأحكام، واتباع الهوى، وحب الافتراض، والتخمين، وفي ذلك تجاهل لقيمة الرواية الصحيحة التي تعد الطريقة الوحيدة في ترتيب القرآن ترتيباً دقيقاً حكيما(٣).

---

(١) البقاعي: نظم الدرر في تناسق الآي والسور ٢٠/٥٠٤.

(٢) ينظر: بلاشير: تاريخ القرآن، ص ٢٤.

(٣) صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، ص ١٦٧، ط٨، سنة ١٩٧٤م.

المطلب الثالث: منهج النزعة التأثيرية.

(الأثر) بوزن الأمر فرند السيف، و (المأثور) السيف الذي يقال إنه من عمل الجن، قال الأصمعي: وليس من (الأثر) الذي هو الفرند...و (الأثر) بفتحتين ما بقي من رسم الشيء وضربة السيف، و (التأثير) إبقاء الأثر في الشيء([1]).

والتأثير: من أثر، ترك علامة في الشيء، ومنه: تأثير العلة في الفرع: تخليفها الحكم فيه، والتأثير الذي يعنيه المستشرقون في دراستهم للقضايا القرآنية، رد كل ما يخص القرآن والسنة إلى مصادر أخرى كاليهودية والنصرانية وغير ذلك.

ومنهج التأثير أو الأخذ بالنزعة التأثيرية استخدم في الدراسات النظرية كل حسب تخصصه، بيد أن المستشرقين اعتادوا العمل به وجعلوه أحد وأهم المناهج المستخدمة في الدراسات القرآنية، وهو يعني رد كل عناصر منظومة الإسلام وفي مقدمتها القرآن بعد تجزئتها إلى اليهودية أو النصرانية، أو إليهما معا دون أن يلتفت أحد منهم إلى كيفية صيرورة الإسلام ديناً مستقلا ذا منظومة شاملة ومتناسقة العناصر، مصرين على أن الجنس العربي ليس من صفاته التعمق في التفكير، ولا الابتكار([2]).

(١) زين الدين الرازي: مختار الصحاح ١٣/١.

(٢) ينظر: محمد البهي: الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، ص ١٨، ط٦، مكتبة وهبه القاهرة، بدون تاريخ.

ومن بين المستشرقين الذين استخدموا هذا المنهج (ماركس هورتن) الألماني، و(رينان) الفرنسي، لكنهما يبالغان في الحكم على قصور العقلية الإسلامية، فيسلبان كل أمر علمي عقلي أنتجته عقول مفكري المسلمين([1]).

والمستشرقون القدامى كانوا أكثر الناس استخداماً لهذه النزعة في كل كتاباتهم، فلقد أصدر المستشرق (إبراهام جايجر) عام ١٨٣٣م كتابا بعنوان: (ماذا أخذ القرآن عن اليهودية)، ويعد هذا الكتاب نقطة البدء لتنقيب المستشرقين في القرآن عن كل ما هو منقول أو مستقى من اليهودية، ومن ثم أرادوا رد العناصر والمضامين القرآنية إلى العناصر التوراتية.

وهكذا يتعسف المستشرقون في إطلاق الأحكام التعسفية المرتبطة بهذا المنهج؛ فكلما وجدوا تشابها بين الموضوعات القرآنية والموضوعات الموجودة في التوراة والإنجيل وظفوها حسب هذا المنهج المزعوم([2]).

وما من شك في أن هذه المنهجية يستخدمها الفكر السياسي الاستعماري لمصالحه القومية، انطلاقا من منطلقات ورواسب تنصيرية كنسية، أو من خلفيات علمانية، أو من رواسب يهودية، وفي هذا الصدد يزعم (بلاشير) في كتابه(معضلة محمد) أن القصص القرآنية مأخوذة في زعمهم عن القصص اليهودية والنصرانية قائلاً:

"إن التأثير النصراني كان واضحا في السور المكية الأولى؛ إذ كثيرا ما تكشف مقارنة بالنصوص غير الرسمية كإنجيل الطفولة الذي كان سائدا في ذلك العهد عن شبه قوي"([3]).

---

(١) ينظر: محمد البهي: الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، ص ١٩.

(٢) حسن عزوزي: آليات المنهج الاستشراقي، ص ٢٧.

(٣) بلاشير: معضلة محمد، ص ٥٤.

من خلال هذه الأحكام تم تطبيق هذا المنهج على القضايا القرآنية وغيرها دون أدنى اكتراث بخصوصية القرآن ذي الأصول والأسس الواضحة، فهذا المستشرق (ديلاس أوليري) يتحدث في كتابه (الفكر العربي ومكانه في التاريخ) عن العقلية العربية قائلاً:

"الحق أن هذه الثقافة الإسلامية في أساسها وجوهرها جزء من المادية الهيلينية الرومانية؛ بل إنه حتى علم التوحيد الإسلامي قد تمدد وتطور بواسطة منابع هلينية"(١).

ويذهب المستشرق الفرنسي (أندري شوراكي) إلى أن كثيرا من الأعلام الواردة في القرآن ذات أصل عبراني، ولقد أصدر ترجمة لمعاني القرآن، وقام بنقدها المستشرقون قبل غيرهم" وقد احتفظ فيها بالأصول العربية لبعض الألفاظ من غير ترجمة إمعانا منه في بيان أصلها العبراني كما زعم"(٢).

والمتأمل في كلامه يجده يريد أن يصل إلى نتيجة مهمة مفادها: أن معظم الألفاظ القرآنية لها ما يقابلها في اللغة العبرانية، وبالتالي فإن مصدر القرآن الكريم الرئيسي هو التوراة، وهذا كلام غير صحيح ولا يستند إلى برهان، وبطلانه جلي لذوي العقول الرشيدة.

وفضلاً عن ذلك فإنه في ضوء المنهج التأثري، يكون القرآن الكريم متأثراً ومقتبساً من التوراة والإنجيل، وبالتالي يخلو من كل أصالة وإلهية.

وهذا هو المستشرق المجري (جولدتسيهر) يريد أن يوثق هذه المنهجية ويؤكدها من خلال ضرب الأمثلة ببعض العبادات والشعائر مقارنة بمثلها في

---

(١) أوليري: الفكر العربي ومكانه في التاريخ، ترجمة: تمام حسين، (غير مرقم) المقدمة، القاهرة.

(٢) أوليري: الفكر العربي ومكانه في التاريخ، المقدمة.

اليهودية فيقول: "شعيرة الصلاة التي كانت بصورتها الأولى من قيام وقراءة، وبما فيها من ركوع وسجود، وبما يسبقها من وضوء تتصل بالنصرانية الشرقية، والصوم الذي جعل أولاً يوم عاشوراء محاكاة للصوم اليهودي الأكبر..."(١).

ويقول في موضع آخر: "لكي نقدر عمل محمد من الوجهة التاريخية، ليس من الضروري أن نتسائل عما إذا كان تبشيره ابتكاراً وطريقا من كل الوجوه، ناشئا عن روحه، وعما إذا كان يفتح طريقا جديداً؛ فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا من معارف وآراء دينية، عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثراً عميقا، والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة حقيقية عند بني وطنه.."(٢).

وسار على هذا النهج المستشرق الإنجليزي (جب) في كتابه (الوحي المحمدي) فيقول: "إن محمدا ككل شخصية مبدعة قد تأثر بضرورات الظروف الخارجية المحيطة به من جهة، ثم هو من جهة أخرى قد شق طريقا جديداً بين الأفكار والعقائد السائدة في زمانه، والدائرة في المكان الذي نشأ فيه...."(٣).

ويزعم المستشرق (نلسن) وغيره أن الإسلام مقلد، وأن أحسن ما فيه مأخوذ من النصرانية، وسائر ما فيه مأخوذ من الوثنية(٤).

وقال (غوستاف لوبون): "وإذا أرجعنا القرآن إلى أصوله أمكننا عد الإسلام صورة مختصرة من النصرانية، والإسلام يختلف عن النصرانية، مع

---

(١) جولد تسيهر: العقيدة والشريعة، ص ١٧.

(٢) جولد تسيهر: العقيدة والشريعة، ص ٥.

(٣) جب: الوحي المحمدي، ص ٢٧.

(٤) عبد الله السمان: مفتريات اليونسكو، ص ٢٠.

ذلك في كثير من الأصول؛ ولاسيما في التوحيد المطلق الذي هو أصل أساسي"([1]).

وهكذا وظف المستشرقون منهجهم الزائف في تزوير الحقائق، ووضع تصور فاسد يدعو إلى أن الإسلام استمد ثوابته وأصوله من التوراة والإنجيل وغير ذلك، وهو بالتالي كلام فاسد وباطل لا يثبت أمام النقد البناء.

المطلب الرابع: **منهج اللاموضوعية وعدم التجرد**.

إن هذا النوع من المناهج، يبين في وضوح ملامح وسمات المستشرقين في منهجية البحث، ويرينا إلى حد كبير، مدى التزامهم بقواعد المنهج العلمي من عدمه، وإلى أي حد يمكن أن تسمى كتاباتهم بحوثا علمية.

تدل مادة وضع الثلاثية في اللغة على الموضع: المكان، والموضع أيضا: مصدر قولك وضعت الشيء من يدي وضعا، وموضوعا وهو مثل المعقول، وموضعا، والموضع بفتح الضاد، لغة في الموضع. ويقال في الحجر وفي اللبن إذا بني به: ضعه على غير هذه الوضعة والوضعة والضعة، كله بمعنى. والهاء في الضعة عوض من الواو. والوضيعة: واحدة الوضائع، وهي أثقال القوم. ويقال: أين خلفوا وضائعهم.([2]).

والموضوعية تعني التجرد وهي ضد التحيز، وقيل إنها: اسم منسوب إلى مَوْضوع، ويراد به ما هو مُجرَّد عن غاية شخْصيَّة، و غير موضوعيّ: خارج عن محور البحث، ويستلزم ذلك كون الحقائق العلميَّة مستقلّة عن قائليها بعيدة عن التَّأثّر بأهوائهم وميولهم ومصالحهم([3]).

---

(١) جوستاف لوبون: حضارة العرب، ص ١٥٨.

(٢) الجوهري الفرابي/ الصحاح في اللغة ٢/٢٨٣.

(٣) مجمع اللغة العربية المعاصر ٢/٢٤٥٧.

وعكس الموضوعية: الذاتية، وهي مصدر صناعي من ذات نزعة ترمي إلى تحكيم الذات في الحكم أو تكوين الآراء والانطباعات، والموضوعية تعني التجرد عن الغايات الشخصية، والغير موضوع: خارج عن محور البحث([1]).

واللاموضوعية: تحيز شخصي تجاه فكرة ما أو نحوها، تقول اتسمت نظرته إلى القضية باللاموضوعية([2]).

وهي عند المستشرقين: تعني الخضوع للأهواء، وعدم التجرد للبحث، والبداهات البحثية ترينا أن شرط المنهج الأول وأساسه؛ التجرد من الأهواء وعدم الوقوع تحت سلطانها، فلا يميل الباحث لإثبات ما يوافق هواه، وينفي ما عداه، وهذا ما يقوم به المستشرقون، فهم "يعينون لهم غاية ويقررون في أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق، ثم يقومون لها بجمع معلومات من كل رطب ويابس ليس لها علاقة بالموضوع، وإن كانت هذه المواد تافهة لا قيمة لها، ويقدمونها بعد التمويه بكل جراءة، ويبنون عليها نظرية لا يكون لها وجود إلا في نفوسهم وأذهانهم"([3]).

ومن بين الأمثلة التي تبرهن وتؤكد ما نقول، والتي تبين في وضوح استخدام القوم لهذه المنهجية الزائفة في الدراسات القرآنية، وتوظيفها على بحوثهم أحسن توظيف، وذلك في النقاط الآتية:

---

(١) مجمع اللغة العربية المعاصر ٢/٢٤٥٧.

(٢) مجمع اللغة العربية المعاصر ٣/٢٤٥٨.

(٣) أبو الحسن الندوي: الإسلام والمستشرقون، ص ١٩، المجمع الإسلامي العلمي لكنو الهند سنة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

١- **إطلاق الحكم من غير دليل:** من البدهي أن الأحكام المستقيمة لابد لها من أدلة توثقها وتؤكدها، حتى تتسم بالقبول، سواء أكانت نقلية أم عقلية، وهذا مسلم به في كل ميادين البحث العلمي المجرد.

وفي هذا يذكر جولد تسيهر) عبارة يدعي فيها" أن القرآن الكريم أثر من آثار الأدب العالمي"([١]) ولم يكلف نفسه ويأت بدليل واحد على صحة زعمه الفاسد، أو يشرح أوجه التشابه بين القرآن وهذا الأدب العالمي المزعوم أو يحيل على مصدر.

وفي تفسير الصلاة الوسطى في قوله تعالى: "**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**" [البقرة: ٢٣٨]، يقول: "العدد الراجح من قدامى المفسرين أن يفهموا من ذلك صلاة العصر، لما ينسب من دلالة عظيمة إلى ذلك الوقت من النهار بوجه عام، وهي نظرة تسربت إلى الإسلام من محيط أجنبيي"([٢]).

ولاشك أن هدفه غير مقبول ومردود عليه، ولم ينم عن حسن نية؛ بل سوء النية مبيت وواضح، وهذا ديدنه في كل كتاباته عن القرآن الكريم، والسؤال الملح من أين أتي بهذا التعسف من القول، وكيف يوظف هذه المنهجية الفاسدة الزائفة على مثل هذه التأويلات.

٢- **استخدام الأقوال الدخيلة والموضوعة:** من سمات المستشرقين وخصائصهم؛ بل ديدنهم العام، الاعتماد على الأقوال الضعيفة والدخيلة، ومثال ذلك:

---

(١) جولد تسيهر: العقيدة والشريعة، ص١٦.

(٢) جولد تسيهر: مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٢٤.

ادعاء المستشرق الألماني (هرمان ستيتجكي) بأن القرآن الكريم ليس معجزا، وأن سورة الفاتحة والمعوذتين ليستا منه، ولا يشير في ذلك إلى أي مرجع من المراجع التي اعتمد عليها في نقل ما يقول، على الرغم من أن (آرثر جفري) أشار إلى هذه الرواية كما نقل عن ابن عباس وقد أشرنا إلى ذلك سابقا، ولو سلمنا جدلا بصحة ما يقول، فلا يترتب على ذلك أي أثر بالنسبة لإجماع المسلمين، وكيف ذلك وهو يعارض الأحاديث الصحيحة التي تؤكد أن الفاتحة من القرآن(1).

وفي الحديث الصحيح الرد الكافي والدحض المفحم لزعمه، عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ (ﷺ) فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي فَقَالَ أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: "اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ" ثُمَّ قَالَ لِي "لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ أَلَمْ تَقُلْ لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَالَ "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ"(2).

ومما يؤكد اعتمادهم على الروايات الضعيفة والموضوعة والدخيلة، اعتمادهم على الرواية التي تقول بأن النبي قرأ سورة النجم على كفار قريش فلما وصل إلى قوله تعالى: "**أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى**" [النجم: ١٩، ٢٠]، ألقى عليه الشيطان تلك الغرانيق العلى" وإن شفاعتهن

---

(١) محمود حمدي زقزوق: الإسلام في الفكر الغربي، ص ٥١.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ما جاء في سورة الفاتحة ٣٠/٦.

لترتجى" ثم أكمل السورة وسجد المشركون معه، ويصرح عدد من المستشرقين بذلك وكأنها حقيقة(١).

٣- **تجاهل الحقائق:** إن المستشرقين عن عمد تارة، وعن غير عمد تارة أخرى، يقعون في العديد من الأخطاء القاتلة، وبالتالي تجاهل الحقائق الواضحة، فكان منهج دراساتهم يقوم على التعصب والتجن، الذي يريد أن يتصيد للخصم الخطأ، وإن اخترع هو هذا الخطأ، فعلى سبيل المثال وقوعهم في الأخطاء اللغوية عن عمد وعن غير عمد، حيث ترجم (آرثر ولاستن) بعض آيات القرآن واعترف صراحة أنه يجهل العربية وجاء ذلك في مقدمة طبعة الترجمة(٢).

يقول (بلاشير): "وقلما وجدنا بين الكتب الدينية الشرقية كتابا بلبل بقراءته دأبنا الفكري أكثر مما فعله القرآن، فإنا معشر الاختصاصيين في الإسلاميات حتى لو بذلنا جهدا وافرا لبعث الجو الذي نمت فيه دعوة محمد، تكتشف تنافرا يتعذر دفعه بين هذا الجو وبين الشك الذي اتخذه هذا المصحف، فأمام هذا النص الشائك بصعوباته الكثيرة الغموض والمدهش بأسلوبه الإيجازي الذي يغلب عليه التلميح نتوقف ملتمسين الفكرة الرئيسية التي تصل فيما بينها بمنطق كامل قصص وشروحات يصعب الكشف عن ترابطها"(٣).

أما تجاهل الحقائق فأمثلتها كثيرة، منها ادعاءهم أن القرآن يقول: إن السيدة مريم أخت لموسى بن عمران، لقوله: "**يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا**" [مريم: ٢٨]، وهذا تجاهل للحقائق، فلقد وضح في الحديث: عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِى فَقَالُوا إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ يَا أُخْتَ

---

(١) الدراسات الإستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية، ص ٣٩٤.

(٢) مقدمة العلوم والمناهج ٢٢٤/١.

(٣) الدراسات الاستشراقية، ص ١٩١.

هَارُونَ وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا. فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: " إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ"(١)(٢).

وهذا قليل من كثير مما ساقه القوم في التدليل على استخدامهم للاموضوعية وعدم التجرد، وهذا يدل على خلل منهجي واضح، يقول الشيخ محمود شاكر: " أما الأهواء فهي الداء المبير والشر المستطير، والفساد الأكبر؛ إن هو ألم بأي عمل إلمامة خفيفة الدبيب بله الوطء المتثاقل وأحاله إلى عمل مستقذر منبوذ كريه، حتى لو جاء هذا العمل في أحسن ثيابه وحليه وعطوره، وأتمها زينة من دقة استيعاب وتمحيص ومهارة وحذق وذكاء"(٣).

وهكذا اللاموضوعية والبعد عن الهوى والميل عن الحقيقة لا توصل الباحث النزيه إلى الحقيقة، وهذا خلل وخطأ منهجي وقع فيه المستشرقون في دراساتهم للقضايا القرآنية.

٤- **التشويه المتعمد لترجمة القرآن الكريم:** من أهم ما يوضح اللاموضوعية وعدم التجرد في دراسات القوم للقضايا القرآنية، تشويه ترجمة القرآن الكريم - المتعمد المقصود- والتحريف المشوه عمدا للقرآن، فهذه الترجمات تحاشت ترجمة كل اسم أو فعل فيه معنى التسليم والإسلام، أمثال مسلمون، ومسلما، إن الدين عند الله الإسلام، أو أنها أسقطت الكثير وحرفت الأكثر، وتحولت كلمة مسلمين إلى اسماعيليين، وأمثال هذا كثير، ومن ثم جانبوا الموضوعية والأمانة، ولحقتهم الخيانة، يدل على ذلك ترجمة القرآن الكريم (لروبرت أوف كيتون) التي اتسمت بعدم المصداقية والخيانة، حيث إنه أصدر

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، باب النهي عن التكني بأبي القاسم، ١٧١/٦.

(٢) المستشرقون والإسلام، ص ٩.

(٣) محمود شاكر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص ١٨.

قرآنا جديدا اعتمد المدافعون عن النصرانية عليه، بعدما سمحوا لأنفسهم أن يفهموا القرآن بطريقة ترضيهم([1]).

إن الهدف من ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى من أجل التشكيك والهدم والتضليل، وأصحاب هذا الاتجاه تغلب عليهم العصبية العمياء لدينهم والكراهية والبغضاء تجاه القرآن وأهله([2]).

المطلب الخامس: منهج الانتقائية

إن هذا المنهج يوضح بصورة كبيرة فساد وبطلان منهج القوم في تناولهم للقضايا القرآنية، وهو متنوع ومتعدد، ومختلف تبعا لاختلف طبيعة الموضوعات المطروحة من جهة، ومدى موضوعية المستشرق من جهة أخرى.

الانتقائية لغة: الانتقاء مصدر انتقى، من نقاه نقاوة الشيء ونقايته بالضم فيهما خياره، ونقى الشيء بالكسر، نقاوة بالفتح فهو نقي، أي نظيف، والانتقاء: الاختيار، والتنقي: التخير([3]).

---

(١) محمد صالح البنداق: المستشرقون وترجمة القرآن، ص٩٦.

(٢) القيام بالترجمة الحرة وتحاشي الترجمة العلمية إمعانا في التحريف والتضليل بما يترتب عليه تحوير المعاني وتبديلها وعرض النصوص القرآنية كما يراها المترجم، لا كما تقتضيه آياته وألفاظه، إضافة للتقديم والتأخير والحذف والإضافة، وإزاحة الآيات القرآنية من مكانها التوقيفي؛ لتضليل القارئ، وإبعاده عن الإحاطة بحقيقة النص القرآني (راجع: محمد صالح البنداق: المستشرقون وترجمة القرآن، ص ٩٦).

(٣) الرازي: مختار الصحاح: تحقيق: يوسف الشيخ محمد١/٣١٨، ط ٥ المكتبة العصرية بيروت سنة١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

وهو اسم مؤنث منسوب إلى انتقاء، وهي نزعة تعمد إلى اختيار عناصر مختلفة من مذاهب عدة، وسبكها في مذهب واحد([١]).

والانتقاء: تفضيل الشيء على غيره، أو الاتيان بالتصرف على الوجه الذي يريد، أو ترجيح تصرف على غيره.

ومن أصحاب المنهج الانتقائي المستشرق الفرنسي (لامنس) وقد وظف هذا المنهج في معالجته لبعض القضايا التاريخية عارضا لها على أفكاره ومعتقداته الخاصة دون النظر إلى الموضوعية في الطرح، وسنضرب العديد من الأمثلة على ذلك فيا يأتي:

أولاً: الانتقائية في اختيار مصنفات محددة في علوم القرآن: الطابع العام للمستشرقين فرض عليهم سمة معينة في دراستهم لعلوم القرآن وقضاياه، وهي أن لا يمكن الاعتماد على كل المصنفات في علوم القرآن الكريم، بل الاعتماد على عدد محدد، وكتب بعينها، لها مواصفات خاصة، كعدم تحري الدقة والنقد والرواية السليمة([٢]).

---

(١) مجمع اللغة العربية المعاصر ٣٢٤٢/٢.

(٢) يذكر أحد الباحثين في دراسة أجراها أنه بتتبع عدد المراجع التي ذكرها بلاشير في مقدمة كتابه مدخل إلى القرآن فوجد أنه اعتمد على مائة وثمانية وسبعين كتابا ليس منها سوى سبعة وأربعين كتابا عربيا كثير منها في الأدب والتاريخ مثل اليعقوبي ومروج الذهب للمسعودي وأسد الغابة لابن الأثير ومقدمة ابن خلدون والفهرست لابن النديم وغيرها(راجع حسين العزوزي: آليات المنهج الاستشراقي، ص ٢٠).

على الجانب الآخر فهم لا يعتمدون على الروايات الصحيحة الواردة في الكتب الصحاح الخالية من الدخيل والموضوعات، أو في مقدمات المفسرين، أو علوم القرآن المعتمدة([١]).

وهذا طابع المستشرقين وديدنهم قديما وحديثا، والهدف من ذلك الإبقاء على الشبهات والافتراءات التي نسجها الأوائل منهم عن طريق الإشارة إلى الاحالات ذاتها، ثم نفس الاستنتاجات، ولنضرب مثالا على ذلك فيما يأتي:

مادة(قرآن) في دائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الثانية، ونفس الشيء أبحاث المستشرقين وكتبهم، ففي كتاب (تاريخ القرآن) (لنولدكه) و(مدخل إلى القرآن) (لبلاشير) وجمع القرآن(لجون بورتون) وغير ذلك.

وهذا ما نلمسه بوضوح من خلال اعتماد(جولدتسيهر) في كتابه(مذاهب التفسير الإسلامي) على جانب معين ومحدد من جوانب علوم القرآن، فقد وقف على نموذج واحد أو أكثر، ووظفه لخدمة غرضه وهواه، ووضع المقدمات واستخرج النتائج التي يريدها، فاقتصر على دراسة تفسير الطبري والزمخشري وابن عربي، ولم يتبغ غير ذلك من المناهج التفسيرية، ولو أنه تطرق إلى غير هذه التفاسير في بحثه لعلم أن النص القرآني متجدد وثري، لكنه تعمد إخفاء الآثار الأخرى، وتجاهل آثار علماء المسلمين في هذا([٢]).

---

(١) على سبيل المثال لا الحصر: مقدمة ابن عطية، مقدمة ابن جزي، مقدمة القرطبي في التفسير، أما ما يتعلق بكتاب الله تعالى فمنها المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بكتاب الله العزيز، أو البرهان في علوم القرآن، التبيان للنووي وغير ذلك.

(٢) محمد إبراهيم شريف: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن، ص ٧ دار التراث القاهرة سنة ١٩٨٢م.

ثانياً: الانتقائية في اختيار الروايات الضعيفة: وهذا طابعهم في البحث والدراسة، وبخاصة ما يتعلق بالقضايا القرآنية، بقصد بناء أحكامهم عليها، والتدليل بها على أغراض معينة، وهدفهم لا يخفى على عاقل، وهو التشكيك في مصداقية وموثوقية النص القرآني، ولنضرب مثالا على ذلك:

إن كاتب مادة القرآن في دائرة المعارف وجد فيما أورده السيوطي في الإتقان، روايات مختلفة عن أول من جمع القرآن، بابا يلجه لكي يدلل على جملة من الروايات الضعيفة في جمع القرآن([1]).

وينقل عن ابن أبي داود رواية مفادها أن أبا بكر بدأ بجمع القرآن ثم أتمه عمر، وينقل رواية ابن سعد في الطبقات التي تقول بأن عمر توفي ولم يكمل القرآن([2]).

والمتأمل فيما ذكر يجد كلاما لا قيمة له ولا وزن، ولا يخلو من الهراء والبعد عن منهج البحث النزيه، وفي نفس الوقت يجد تعارضا بينها وبين ما ورد في الروايات الصحيحة المعتمدة، كما جاء في صحيح البخاري على سبيل المثال([3]).

ولم يكتف القوم بهذا فقط، بل لجأوا إلى الاعتماد على مصادر أخرى لتحقيق أهدافهم، حتى يجدوا بغيتهم ككتب الأدب والتاريخ دون النظر إلى جوهرية المصادر من عدمه، وقد ألمحنا إلى هذا من قبل.

---

(١) السيوطي: الإتقان ١٦٤/١.

(٢) ابن سعد: الطبقات ٢١٢/٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ٣٢١/٣ رقم ٤٩٨٦.

ومن الأدلة على ذلك اعتماد المستشرق المجري (جولد تسيهر) في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي)([1]) وكذلك (بلاشير) في كتابه (تاريخ القرآن)([2]) على مروج الذهب للمسعودي.

والهدف من ذلك كما هو معروف، إثارة البلبلة والتشكيك حول القرآن الكريم وقضاياه، وهم بذلك على يقين بفساد ما يقدمونه، وبالتالي سلكوا هذا المسلك، ولم يقفوا عند كتب التاريخ والأدب فقط؛ بل اعتمدوا على بحوث المستشرقين القدامى لتحقيق مآربهم والوصول إلى نتائج مغلوطة، وقد طبّق (بلاشير) هذا بالفعل عندما اعتمد على كتاب تاريخ القرآن لنولدكه كما تعلق الأمر بذكر أحاديث نبوية أو روايات مأثورة تختص بجمع القرآن([3]).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ص ٨٧، ٨٣، ٩٠، ٩١.

(٢) ينظر ص ٢٩، ٧٦، واعتمد بلاشير أيضا على كتاب الفهرست لابن النديم في معرض حديثه عن عدد السور المكية والمدنية حيث قال: "حسب رواية يقدمها ابن النديم أن عدد السور المكية خمس وثمانون، وعدد السور المدنية ثمان وعشرون، ثم يعقب بقوله فالمجموع مائة وثلاثة عشر" على الرغم من أن عدد سور القرآن مائة وأربعة عشر، وهو أمر معلوم ومعروف.

(٣) ينظر: ص ١٦٩ أحال إلى كتاب نولدكه فيما يخص حديثا رواه الشعبي.

المطلب السادس: منهج الإسقاط[1].

السين والقاف والطاء أصل واحد يدل على الوقوع وهو مطرد من ذلك الشيء سقوطا[2].

والإسقاط: الإيقاع، أسقطه فسقط، وأسقط الإنسان في كلامه: أي تكلم بالسقط وهو الخطأ، وأسقطت المرأة وغيرها إذا ألقت ولدها سقط[3].

والإسقاط حيلة لا شعورية تتلخص في أن ينسب الإنسان عيوبه ونقائصه ورغباته المستكرهة ومخاوفه المكبوته التي لا يعترف بها إلى غيره من الناس....وذلك تنزيها لنفسه، وتخفيفا مما يشعر به من القلق أو الخجل أو النقص[4].

فالإسقاط إذن هو العملية النفسية التي نخلع بها تصوراتنا ورغائبنا وعواطفنا على الآخرين، أو على موضوع من الموضوعات، وهذا ما ينطبق على المستشرقين و المبشرين، وبالتالي التشكيك والتشويه، وإثارة البلبلة والدس

---

(١) يرى أحد الباحثين أن الإسقاط من الممكن استخدامه كمنهج علمي مقبول، ودلل على ما يقول بتسمية الدليل الشرعي الأصولي القياس إسقاطا لأنه في نظره يقوم بإسقاطه الأصل على الفرع (راجع: حسن حنفي: دراسات إسلامية، ص ١٠٨، دار التنوير العربي سنة ١٩٨٢م.

(٢) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ٨٧/٢.

(٣) الحميري: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين العمري وآخرون، ٣١٢٧/٥، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت ١٤٤٠هـ - ١٩٩٩م.

(٤) أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، ص ٨، ط ٨، المكتب العصري الحديث، الإسكندرية، سنة ١٩٧٠م.

والتزوير والافتراءات التي وجهت إلى القرآن وقضاياه من صنع المستشرقين، والذي هو من قبيل الإسقاط المدروس الواعي.

"ولا يخطئون فقط في كل جملة يقولونها؛ بل يكذبون، أي إنهم لم يعودوا أحرارا في أن يكذبوا ببراءة وبسبب الجهل"([١]).

ولعل المثل العربي القديم القائل: "رمتني بدائها وانسلت" أقدم تعبير عن هذا المنهج في كلام المرء في التراث العربي([٢]).

ومنهج الإسقاط بمراده في هذا الصدد يعني: إسقاط الواقع المعاصر المعيش على الوقائع التاريخية الضاربة في أعماق التاريخ؛ فيفسرونها في ضوء خبراتهم ومشاعرهم الخاصة، وما يعرفونه من واقع حياتهم ومجتمعاتهم.

وبتتبع دراسات المستشرقين، تبين ممارستهم لعملية الإسقاط، ودافعهم الأكيد الوحيد، رمي القرآن الكريم بالنقص والتحريف والتزييف محاولين الانتقاص من قدره، والشواهد المؤكدة لاستخدام المستشرقين لهذا المنهج كثيرة ومتنوعة، والتي تبين إلى أي مدى يستخدمون منهج المغالطة في دراستهم للقرآن الكريم وعلومه، سواء أكان هذا الإسقاط يتعلق بمفهوم القرآن الكريم، أو بمصدره وتاريخه، أو بجمعه وتدوينه.

ففيما يتعلق بمفهوم القرآن الكريم سواء في كتب المستشرقين وبحوثهم قديما وحديثاً، أو في دوائر المعارف نجد الدس والتزوير والتشكيك والتزوير، وحاول المستشرق المجري (جولد تسيهر) تطبيق هذه المنهجية على تعريف القرآن، الذي يقول فيه:" القرآن هو الأساس الأول للدين الإسلامي، وهو كتابه

---

(١) شوقي أبو خليل: الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، ص ١٥.

(٢) أبو عبيد القاسم بن سلام: الأمثال، باب تعيير الإنسان صاحبه بعيب هو فيه، تحقيق: عبد المجيد قطامش، ط: دار المأمون للتراث دمشق سنة ١٩٨٠م.

المقدس، ودستوره الموحى به، وهو في مجموعه مزيج من الطوابع المختلقة اختلاقا جوهريا، والتي طبعت كلا من العصرين الأولين من عهد طفولة الإسلام"([1]).

المتأمل لكلام جولد تسيهر يتبين له بما لا يدع مجالا للشك، محاولته تزييف حقيقة القرآن وكيف أنه مزيج مختلط من الثقافات المتعددة وليس من عند الله، وهذه تلفيقة جديدة قديمة، الغرض منها الإساءة للقرآن الكريم، والذي أراد أن يضفي عليه ما أضفاه أصحاب الديانات الأخرى من التغيير والتبديل، كما حدث في التوراة والإنجيل، وقاموس أكسفورد يعرف القرآن على أنه الكتاب المقدس للمحمديين (أي أتباع محمد).

ولم ولن يختلف (بلاشير) عن جولد تسيهر، فلقد حاول توظيف هذه المنهجية من خلال البحث عن أسباب عدم جمع القرآن في مصحف في عهد النبي، من أنه وأصحابه كانوا يميلون إلى ترك الأمور على ما هي عليه الآن، في الحاضر...وهذا الميل يقف وراء عزوف المسلمين عن جمع القرآن في عهد النبي([2]).

ولا شك أن هذا الإسقاط لا يستند إلى دليل علمي، فهو منهج يخضع لهوى المستشرقين وأحكامهم المسبقة، ومن المعلوم أن النبي كان يحث الصحابة على حفظ القرآن الكريم وكتابته خوفا من الضياع، وكان يستدعي كتبته الذين فاق عددهم الأربعين، ويأمرهم بكتابة كل ما ينزل، ويشير إلى مواضع الآيات

---

(١) جولد تسيهر: العقيدة والشريعة، ص ٢٢.

(٢) ينظر: بلاشير: تاريخ القرآن، ص ١٦.

والسور، وهو ما ورد عن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) نُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرِّقَاعِ"(١)(٢).

ومن إسقاطاتهم أيضا زعمهم بأن" القرآن ليس من عند الله تعالى" وأن "محمدا هو الذي صنع القرآن"(٣).

ومن بين الإسقاطات التي يسوقها القوم زعمهم بأن القرآن الكريم لا يخلو من التناقض، يقول المستشرق (جولد تسيهر): "من العسير أن نستخلص من القرآن الكريم نفسه مذهبا عقديا موحدا متجانسا وخاليا من التناقض، ولم يصلنا من المعارف الدينية الأكثر أهمية وخطرا إلا آثار عامة نجد فيها إذا بحثنا في تفاصيلها أحيانا تعاليم متناقضة"(٤).

إن هذا التفسير الإسقاطي لقضايا القرآن، أراد أصحابه من خلاله قياس القضايا والأحداث وتفسيرها تفسيرا ماديا وبنوازع نفسية ودنيوية خبيثة ترمي إلى التشكيك في كتاب الله تعالى.

تعقيب: هذه أهم مناهج المستشرقين في دراسة القضايا القرآنية، بيد أن هذه المناهج قد تزيد وقد تنقص لدى بعض الباحثين، لكنها لا تخلو من كل المناهج المطروحة سلفاً، وإن كان بعض الباحثين أضاف منهجا أو آخر كالمنهج المعاكس والنفي والانشطارية(٥)، والتركيز على المرحلة التأسيسية(٦) وغير ذلك من المناهج.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب التفسير ٢/٢٤٩.

(٢) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٣/١٦٤.

(٣) ويلز: معالم تاريخ الإنسانية ٣/٤٣٢، دائرة المعارف الإسلامية ٤/٢٤٤.

(٤) جولد تسيهر: نحو العقيدة الإسلامية وتطورها، وقد شاركه في هذا الإسقاط كثير من المستشرقين أمثال لوسيان كلوفيتش في كتابه المسلمون تحت الحكم الشيوعي.

(٥) ينظر: أساليب وغايات الاستشراق ص ١٤٢، مناهج المستشرقين البحثية، ص ٤٢.

(٦) ينظر: آليات المنهج الاستشراقي، ص ٤٠.

لكن بالبحث والدراسة تبين أن هذه المناهج تدخل ضمنا في غيرها، ومن ثم فلا داعي للتكرار وعدها مناهج قائمة بذاتها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فهناك بعض النقاط التعقيبية أعرضها على النحو الآتي:

أولاً: لقد بذل المستشرقون من منتصف القرن التاسع عشر تقريبا، كل ما في وسعهم ليبدوا موضوعيين في كتاباتهم من ناحية، ومن ناحية أخرى خلو هذه الكتابات من الأخطاء اللغوية والعلمية، لكن دون جدوى، فدائما دوافع الحقد والغل ضد الإسلام والقرآن مسيطرة عليهم في كل ناحية من النواحي، وفضلا عن ذلك فإنهم عن عمد واضح أصروا على طرح التصورات الزائفة لقضايا القرآن الكريم وعلومه، كما أسلفنا، وكذلك طرح النتائج الزائفة والنظريات الخاطئة([١]).

ثانياً: إن هؤلاء القوم سعوا بكل ما أوتوا من قوة، للإعلان عن زعم فاسد؛ وهو أن القرآن انتحال وتقليد وسرقة، معتمدين على تشابه لا أساس له، وهذا ما قام به مستشرقون مثل جولد تسيهر، وشفالي، ومرجليوث.

ثالثاً: يعتقد بعض المستشرقين أنهم لم يجانبوا الحقيقة في منهجيتهم، فقال رودي بارت: أن المستشرقين" يطبقون على الإسلام وتاريخه وعلى المؤلفات التي يشتغلون بها، المعيار النقدي الذي يطبقونه على تاريخ الفكر عندهم، وعلى المصادر المدونة لعالمهم فيه([٢]).

---

(١) ينظر: كتابات هير شيفلد، وهورفيتيز، وسيبير وغيرهم من الكتابات التي تعبر بوضوح عن حقيقة المسألة.

(٢) رودي بارت: الدراسات الإسلامية والعربية، ص ١٠.

والحق: أن مناهجهم تخلو من المعيارية، فهم يخضعون الدراسات الإسلامية لموازين ميكافيلية تخدم أغراضهم، كذلك استخدامهم منهج التشكيك في كل ما يختص بتراث الأمة الإسلامية، يقول عماد الدين خليل:

"يكاد يكون هذا الملمح الأساس في مناهج المستشرقين قاسما مشتركا أعظم ما بينهم جميعا، أنهم يمضون مع شكوكهم إلى المدى، ويطرحون افتراضات لا رصيد لها من الواقع التاريخي؛ بل إنهم ينفون العديد من الروايات لهذا السبب أو ذاك؛ بينما تجدهم يتشبثون في المقابل بكل ما هو ضعيف وشاذ"(١).

رابعاً: إنهم يزنون قضايا الأمة الإسلامية بموازين تختلف عما يستخدمونه في أمورهم العلمية، يقول أحد الباحثين: "إن الطريقة الغالبة على المستشرقين؛ أنهم لا يزنون الموضوع الواحد بميزان واحد فيما يتعلق بالإسلام وبالأمم الإسلامية، وفيما يتعلق بغير الإسلام وغير المسلمين، فهم أبدا ينظرون نظرة جانبية إلى المسائل الإسلامية...وعندهم أن مسائل الإسلام موسومة بالغرابة أو المخالفة لما عداها، كما أنهم كثيرا ما يعتمدون المغالطة في المناقشات العلمية وسوء الظن والفهم واعتماد الأقوال الباطلة التي ردها العلماء المسلمون بدلائل علمية"(٢).

فيما يقول غيره: "وتبتني منهجيتهم في الدراسات القرآنية من منطلق أن محمدا هو مؤلف القرآن الكريم؛ لأنهم لا يعترفون به نبيا بطبيعة الحال، وهم يعتبرون مادة القرآن إلى الكتب الدينية اليهودية والمسيحية من خلاصة الكتب الدينية والفلسفية القديمة التي سبقت الإسلام" يقول(فنسنك): "ألف محمد القرآن من خلاصة الكتب الدينية والفلسفية التي سبقته"(٣).

---

(١) عماد الدين خليل: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية ١/١١٣.

(٢) أنور الجندي: شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، ص ٨٧.

(٣) حسين الهواري: المستشرقون والإسلام، ص ٧١٠.

وفيما يؤيد هذا الكلام ويقويه أن القرآن الكريم متناقض ومضطرب، يقول نيكلسون: "والقراؤون للقرآن لا تعوزهم الدهشة من اضطراب مؤلفه، وعدم تماسكه، في معالجة كبار المعضلات، وهو نفسه لم يكن على علم بهذه المتعارضات، ولم تكن حجر عثرة في سبيل صحابته الذين تقبل إيمانهم الساذج للقرآن الكريم على أنه كلام الله"([1]).

خامساً: السؤال الملح: أين مكانة المنهج العلمي إذن؟ وأين معيار الحقيقة والعلم لدى المستشرقين؟ إن مناهج المستشرقين في ضوء هذا كله تنم عن منهج قبلي يؤكد على أن مركزية الغرب لا تنازل عنها، وأن التعسف في استخدام المنهج يسهم وبشكل فاعل في جعل أي توجهات علمية في الدراسات الإنسانية تقع بين متناقضين هما: الرفض والقبول، وهذا التعسف في استخدام المنهج هو الذي يحدد غالبا الموقف من معطيات البحث العلمي والاستشراقي([2]).

ومن هنا يتبين صدق ما قاله الدكتور عبد الله دراز (رحمه الله) بأن العقول الثاقبة، و النفوس المتهيئة، لا تحتاج سوى إلى بصيرة نافذة لكي تعتنق دعوة جديدة حالما توفر فيها شرطان: تعليم الحقيقة و الدعوة إلى الفضيلة"([3])، ذلك أن القراءة المتأنية والدراسة المتعمقة إنما هي وسيلة للفهم السليم والعلم الصحيح،الذي يرقى بصاحبه إلى مراتب الاجتهاد أي الرؤية المتبصرة التي تقود إلى الحق، وتجنب الوقوع في براثين الفهم السقيم و النظر القاصر الذي يؤدي الى تشويش الفكر و خلل في المقال .

---

(١) رينولد نيكلسون: الصوفية في الإسلام، ص ٦.

(٢) الاستشراق قراءة في المنهج، ص ١٢٤.

(٣) عبد الله دراز: مدخل للقرآن ص ٣٤.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،وبنوره تشرق الأرض والسماوات، وبعد: فقد وصل البحث إلى غايته، وانتهينا من عرض هذه الأطروحة المهمة، التي تثبت في وضوح مدى ما وصل إليه المستشرقون من تجن وتعصب في بحوثهم وكتاباتهم حول القرآن الكريم وقضاياه، لذلك فهناك بعض النتائج التي توصل إليها البحث من خلال هذه الدراسة، والتي تكمن في النقاط الآتية:

١- إن ما سطرناه فيما مضى من مواقف لهؤلاء المستشرقين ومنهجيتهم في البحث، حيال القرآن وقضاياه، من افتراءات وأكاذيب، دفعنا للرد عليها، وتبيان زيفها، لكى يتبين في وضوح أن نتاجهم في حاجة إلى تمحيص وتصفية.

٢- ظهر جلياً من المناقشات والردود السالفة الذكر، أن مناهج المستشرقين لم ولن تثبت أمام النقد البناء لخلوها من البراهين والأدلة الصحيحة، وتعمد الكذب والافتراء على القرآن الكريم وعلومه.

٣- تحذير المسلمين من الانقسامات، وبخاصة التي بين العلماء، حيث إن العدو يريد تشتت المسلمين بين فرق ومذاهب، وتأجيج نار الفتنة فيما بينهم، وتكون النتيجة ضياع جهود الأمة.

٤- ينبغي أن نضع حداً فاصلاً لآراء الغربيين، نحن أولى بها في جزء من كياننا العقدي، والتاريخي، والحضاري، إذ لم نقطع وقف التيار الغربي الزاحف في مجال القضايا القرآنية، ومن ثم ينبغي إبراز الحقائق التي تتعلق بالإسلام وعلمائه، تجنباً للخلط والخبط، الذى نقع فيه انسياقاً وراء أصحاب الأهواء من مدارس الاستشراق والمفتونين بهم.

٥- إن مصنفاتهم تحمل في ثناياها فؤاداً مترعاً بتكذيب الإسلام، فهم يدسون أصابعهم في كل شيء، ليتخذوا من أي شيء دليل تكذيب القرآن والنبي، وطبق هذا المنهج بجدية فائقة (جولد تسيهر) اليهودي، وأحسن وصف لهم ولأمثالهم: "أنهم لم يأخذوا العلم عن شيوخه، وإنما تطفلوا عليه تطفلاً، وتوثبوا توثباً، وكانت مصنفاتهم إسهاماً منهم في النشاط الأمريكي لخدمة المسيحية.

٦- أن الاستشراق كهانة جديدة تلبس مسوح العلم والرهبانية في البحث، وهى أبعد ما تكون عن بيئة العلم والتجرد، وجمهرة المستشرقين مستأجرون لإهانة الإسلام وتشويه محاسنه والافتراء عليه.

٧- اهتمام الباحثين والدارسين المعاصرين من الشباب العربي المسلم الذين انساق بعضهم إلى التأثر بهذه المناهج، والانبهار بالأسس التي قامت عليها، والنتائج الخطيرة التي تمخضت عنها من تشكيك في العقيدة، ودحض للنبوة، وافتراء على التاريخ، وتزييف للحقائق.

٨- الإدراك الكامل والوعى الشديد بأن ما تنطوي عليه دراساتهم وبحوثهم، بها من المزالق والمحاذير المبطنة بالعلمانية تارة، والإلحاد تارة أخرى.

٩- إن جماً غفيراً من المثقفين في بلادنا أعطوا هؤلاء مكانة هم دونها بيقين، ووقعوا في شباكهم ففسدت عقائدهم ومثلهم، فلا محيص من إماطة اللثام عن وجوههم،وإبرازهم على حقائقهم العارية.

أهم التوصيات

١- إن الأمة الإسلامية أحوج ما تكون إلى اتباع الأسلوب العلمي، والتناول الموضوعي للأمور، والالتزام بذلك يصب في صالح الإسلام دائماً، وإن كان الخصوم يوهموننا بأنهم يتبعون الموضوعية في دراساتهم، فعلينا أن نبين لهم باسم العلم زيف ما يدعون، لا بالدعاوى العريضة والعبارات الجوفاء.

٢- واجب علينا تحديد الموقف الموضوعي من الاستشراق في كل قضايانا العقدية والتاريخية وغير ذلك، والذى لا سبيل له إلا بالمواجهة الفكرية، وقبول التحدي، وإثبات الذات، وإلا فلسنا جديرين بالحياة، لأن الفرق بيننا وبينهم واضح،فهم يعملون بجدية، ونحن لاهون في صغائر الأمور.

٣- لابد أن يعي المسلمون، أن قوى الغرب المتعددة، أدركت أن الإسلام لا تقهره مواجهة عسكرية، فلجأوا إلى سلاح آخر هو سلاح الفكر،يهاجمون به الإسلام، ورجالاته، تشكيكاً في معتقداتهم تارة، وفى منهجهم الفكري تارة أخرى، وهذا كله في معارك دائمة،لذا يجب التصدي لمثل هذه الفكر بشتى الوسائل والسبل.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- أبو خليل: شوقي: الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، دار الفكر المعاصر، بدون تاريخ.

٢- ابن الشريف: محمود: الأديان في القرآن، دار المعارف القاهرة سنة ١٩٧٠م.

٣- ابن سلام: أبو عبيد القاسم: الأمثال، تحقيق: عبد المجيد قطامش، ط: دار المأمون للتراث دمشق سنة ١٩٨٠م.

٤- ابن سعد: أبو عبد الله محمد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، الطبقات، تحقيق: زياد محمد منصور، ط:٢مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، سنة ١٤٠٨هـ.

٥- أحمد: إبراهيم خليل: الاستشراق والتبشير، مكتبة الوعي العربي، بدون تاريخ.

٦- ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا (المتوفى: ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر سنة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٧- ابن منظور: محمد بن مكرم بن على: (المتوفى: ٧١١هـ) لسان العرب، ط٣، دار صادر – بيروت، ١٤١٤ هـ.

٨- أسد: محمد: الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة: د. عمر فروخ، ط: دار العلم للملايين بيروت، بدون تاريخ.

٩- آربري: ا. ج: المستشرقون البريطانيون، تعريب محمد الدسوقي النويهي، (لندن: وليم كولينز، ١٩٤٦).
١٠- أركون: محمد وآخرون: الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ترجمة هشام صالح، بيروت سنة ١٩٩٤م.
١١- أرسلان: شكيب: حاضر العالم الإسلامي، المقدمة، بدون تاريخ.
١٢- آل ناصر: يوسف عبد الله: مناهج المستشرقين في الدراسات القرآنية، جولد تسيهر أنموذجاً، بدون تاريخ.
١٣- الأزدي: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد: جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط:١، دار العلم للملايين – بيروت، سنة ١٩٨٧م.
١٤- أوليري: الفكر العربي ومكانه في التاريخ، ترجمة: تمام حسين،(غير مرقم) المقدمة، القاهرة.
١٥- البخاري: (محمد بن إسماعيل بن إبراهيم) (المتوفى: ٢٥٦هـ) الجامع صحيح،دار الشعب القاهرة، بدون تاريخ.
١٦- بارت: رودي: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة مصطفى ماهر (القاهرة: دار الكتاب العربي).
١٧- بدوى: عبد الرحمن: مناهج البحث العلمي، بدون تاريخ.
١٨- دفاع عن القرآن ضد منتقديه، ترجمة: جمال جاد الله، الدار العالمية للنشر، بدون تاريخ.
١٩- برنارد: لويس: العرب في التاريخ، بدون تاريخ.
٢٠- كارل (بروكلمان) تاريخ الشعوب الإسلامية،ترجمة منير البعلبكي،ص ٣٧٠، ط: (٥)، دار العلم للملايين بيروت، سنة ١٩٨٦م.

٢١- تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار المعارف القاهرة سنة ١٩٦٨م.
٢٢- البقاعي: إبراهيم بن عمر: نظم الدرر في تناسق الآي والسور، دار الكتاب الإسلامي القاهرة، بدون تاريخ.
٢٣- البهي: محمد: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، القاهرة سنة ١٩٦١م.
٢٤- الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، ط٦، مكتبة وهبه القاهرة، بدون تاريخ.
٢٥- بلاشير: رجيس: مدخل إلى القرآن، سنة ١٩٧٧م.
٢٦- بلاشير: رجيس: تاريخ القرآن، ترجمة رضا سعادة، ط بيروت سنة ١٩٧٤م.
٢٧- بلاشير: رجيس: معضلة محمد، سنة ١٩٥٢م.
٢٨- البنداق: محمد صالح: المستشرقون وترجمة القرآن، ط١، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، سنة١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
٢٩- الترمذي: محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ) السنن، تحقيق وتعليق: محمود شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، ط٢مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
٣٠- الجندي: أنور: شبهات التغريب فى غزو الفكر الإسلامي، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٨٣م.
٣١- جولد تسيهر: (إجناس) العقيدة والشريعة، تحقيق: د. محمد يوسف موسى وآخرون، ط: دار الكتب الحديثة مصر.

٣٢- جولد تسيهر: (إجناس): نحو العقيدة الإسلامية وتطورها، بدون تاريخ.
٣٣- جولد تسيهر: (إجناس): مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار الخانجي مصر سنة ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.
٣٤- الجرجاني: (السيد الشريف) (ت ٨١٦هـ) التعريفات، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن عميرة، ط١، عالم الكتب، بيروت، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٣٥- جفري: آرثر: القرآن ككتاب مقدس، ترجمة: نبيل جوتيه، ط سنة ١٩٨٢م.
٣٦- الحسيني: إسحاق: الاستشراق، نشأته وأهدافه، مطبعة الأزهر سنة ١٩٦٧م.
٣٧- جمال: أحمد محمد: مفتريات على الإسلام، ط٣، مطبوعات الشعب سنة ١٩٧٥م.
٣٨- الحاج: ساسي سالم: نقد الخطاب الاستشراقي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م.
٣٩- الحاج: ساسي سالم: الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، ط: (١) سنة ١٩٩١م.
٤٠- الحفني: عبد المنعم، المعجم الفلسفي، ط١، دار الشارقة، القاهرة، سنة ١٤٠٠هـ- ١٩٩٠م.
٤١- حنفي: حسن: دراسات إسلامية، ص ١٠٨، دار التنوير العربي، سنة ١٩٨٢م.

٤٢- الحميري: نشوان شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين العمري وآخرون، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت ١٤٤٠هـ - ١٩٩٩م.
٤٣- الحاكم: محمد بن عبدالله (ت٤٠٥هـ) المستدرك تحقيق: المرعشلي، دار المعرفة بيروت لبنان،سنة١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
٤٤- خليل: عماد الدين: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية، المنظمة العربية العامة للعلوم والثقافة.
٤٥- دائرة المعارف الإسلامية: ترجمة وتعريب: أحمد الشنتناوي وآخرون، ١٩٦٥م.
٤٦- الديب: عبد العظيم: المنهج عند المستشرقين، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد السابع، الدوحة، سنة ١٤٠٩هـ.
٤٧- دراز: عبد الله: مدخل إلى القرآن، ترجمة: محمد عبد العظيم، ط٥ دار العلم، سنة ٢٠٠٣م.
٤٨- ذياب: محمد: حول مشكلة الاستشراق، مجلة منبر الإسلام العدد ١٢، ذو الحجة سنة ١٤٣٢هـ.
٤٩- رضوان: عمر بن إبراهيم: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، بدون تاريخ.
٥٠- الرازي: مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد ٣١٨/١، ط ٥ المكتبة العصرية بيروت، سنة١٤٢٠هـ١٩٩٩م.
٥١- راجح: أحمد عزت: أصول علم النفس، ط ٨، المكتب العصري الحديث، الإسكندرية، سنة ١٩٧٠م.

٥٢- الزيادي: محمد فتح الله: ظاهرة انتشار الاستشراق وموقف بعض المستشرقين منها، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، ليبيا سنة ١٩٨٣م.
٥٣- زكريا: هاشم زكريا، المستشرقون والإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، سنة١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
٥٤- زقزوق: (د. محمود حمدي) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط: دار المعارف، القاهرة بدون تاريخ.
٥٥- الإسلام في الفكر الاستشراقي، سنة ١٩٧٤م.
٥٦- الرازي: زين الدين الرازي: (المتوفى: ٦٦٦هـ): مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، سنة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٥٧- سعيد: إدوارد: الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية ط: (٧) سنة ٢٠٠٥م.
٥٨- السباعي: (د. مصطفى): السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامي، ط: دار الوراق للنشر والتوزيع، القاهرة.
٥٩- الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ط: دار الوراق للنشر والتوزيع، بدون تاريخ.
٦٠- الساموك: سعدون: الاستشراق ومناهجه فى الدراسات الإسلامية، ط: (١) دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، سنة ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
٦١- السعيد: لبيب: الجمع الصوتي الأول للقرآن، ط دار المعارف القاهرة سنة ١٩٧٨م.
٦٢- السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ط دار الكتب العلمية بيروت.

٦٣- الشاهد: السيد محمد: الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، سنة ١٩٩٤م.
٦٤- شاكر: محمود محمد: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ط الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة سنة ١٩٩٧م.
٦٥- شاهين: عبد الصبور: تاريخ القرآن، دار الكتاب العربي، القاهرة، سنة ١٩٦١م.
٦٦- شريف: محمد إبراهيم: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن دار التراث القاهرة سنة ١٩٨٢م.
٦٧- الصغير: محمد حسين: المستشرقون والدراسات القرآنية، ط١، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٦٨- الصالح: صبحي: مباحث في علوم القرآن، ط٨، سنة ١٩٧٤م.
٦٩- ضياء الدين: حسن: وحي الله: بحث مقدم لمؤتمر السنة والسيرة النبوية. الرابع.
٧٠- الطويل: توفيق: أسس الفلسفة، ط٧، القاهرة، سنة ١٩٧٩م.
٧١- طاهر: حامد، دراسات فى علم المنهج، ط القاهرة، سنة ٢٠٠١م.
٧٢- عزيز: فارس: الاستشراق قراءة في المنهج وقصدية الخطاب، سنة ٢٠١٠م.
٧٣- علي: محمد كرد: أثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية، المجمع العربي ١٩٢٧.
٧٤- عريبي: محمد ياسين: الاستشراق وتغريب العقل التاريخي، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط.

٧٥- العاني: عبد القهار: الاستشراق والدراسات القرآنية، مطبعة العاني بغداد سنة ١٩٧٣م.

٧٦- علوش: سعيد: مكونات الأدب المقارن في العالم العربي، ط: (١) دار الكتاب العالمي سنة ١٩٨٧م.

٧٧- عبد الباقي: محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن دار الجيل بيروت.

٧٨- عبد الحميد: محمد عامر: منهج الإسقاط في الدراسات القرآنية عند المستشرقين، (بدون تاريخ).

٧٩- عزوزي: حسن إدريس: مناهج المستشرقين في دراسة القرآن الكريم، بدون تاريخ.

٨٠- آليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الإسلامية، سنة ١٩٩٦م.

٨١- العقيقي: (نجيب) المستشرقون، ط٣ دار المعارف، مصر سنة ١٩١٦م.

٨٢- الغزالي: مشتاق بشير: نظرة تحليلية في كتاب حياة محمد لوليم ميور، بحث منشور في مجلة السدير كلية الآداب جامعة الكوفة النجف العدد الأول ٢٠٠٣م.

٨٣- الغزالي: مشتاق بشير: تطور الاستشراق البريطاني، جامعة بغداد، ٢٠٠١م.

٨٤- القرآن في دراسات المستشرقين، ط:١ دار النفائس، سنة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٨٥- عمر (د. أحمد مختار عبدالحميد) (ت١٤٢٤هـ) وآخرون: مجمع اللغة العربية المعاصر، ط: (١) عالم الكتب ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

٨٦- الغزالي: محمد: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، ط:(١) دار نهضة مصر.

٨٧- غلاب: محمد: نظرات استشراقية، ط دار الكتاب العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

٨٨- الفرابي: الجوهري: (ت٣٩٣هـ) الصحاح في اللغة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،ط:٤ دار العلم للملايين – بيروت، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧ م.

٨٩- القشيري: (مسلم بن الحجاج النيسابوري) (المتوفى: ٢٦١هـ) صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٩٠- قاسم: محمود: المنطق الحديث ومناهج البحث، بدون تاريخ.

٩١- قلعجي: محمد رواس – حامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، ط٢، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٩٢- اللبان: إبراهيم: المستشرقون والإسلام، مجمع البحوث الإسلامية، سنة ١٩٧٠م.

٩٣- لوبون: جوستاف: حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، ط: بيروت سنة ١٣٩٩هـ.

٩٤- الحسيني: موسي: الاستشراق، مجلَّة الأزهر، (ملحق مجلَّة الأزهر)، القاهرة، سنة ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.

٩٥- مراد: يحيى: أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤م.

٩٦- مجلة الثقافة العربية، لقاء مع د. محمد عمارة أجراه سليمان الشيخص، العدد١٢ ديسمبر السنة الثالثة ١٩٦٧م.

٩٧- موسى: يوسف:وآخرون، أساليب الاستشراق وغاياته من دراسة الفكر الإسلامي (سنة٢٠١١م).

٩٨- النبهان: محمد فاروق: الاستشراق، تعريفه، مدارسه، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم سنة١٤٣٣هـــ - ٢٠١٢م.

٩٩- الندوي: (أبو الحسن على الحسنى): الإسلام والمستشرقون، ص ١٩، المجمع الإسلامي العلمي لكنو الهند سنة ١٤٠٢هـــ-١٩٨٢م.

١٠٠- نيكلسون: رينولد: في التصوف الإسلامي وتاريخه، ترجمة: أبو العلا عفيفي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة سنة ١٩٦٩م.

١٠١- (مجموعة من العلماء) مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية، ط (١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس سنة ١٩٨٥م.

١٠٢- المناوي: زين الدين محمد: (ت١٠٣١) التوقيف على مهمات التعاريف، ط١ عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٠هـــ-١٩٩٠م.

١٠٣- نولدكه: تيودور: تاريخ القرآن، سنة ١٩٢٦م.

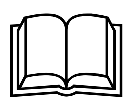
١٠٤- الهواري: حسين: المستشرقون والإسلام، مجلة المعرفة، المجلد الثالث، العدد، الخامس عشر، سنة ١٣٥١هـــ.

١٠٥- وات: مونتجمري: تأثير الإسلام على أوربا في العصور الوسطى، الموصل سنة ١٩٨٢م.

١٠٦- الوحى الإسلامى فى العالم الحديث، ط سنة ١٩٦٩م.

١٠٧- محمد فى مكة، ترجمة شعبان بركات، ط: المكتبة العصرية بيروت ١٩٥٣م.

فهرس الموضوعات




تم بحمد الله